النيروزيات

للشيخ

حميد بن ناصر بن حسن الشيباني

٥/١٤٧
٢١

جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية

مطبعة السلام

٩ شارع السيد هاشم المتفرع من شارع محل الألبان (مدرسة المماليك)
الخلفاوى . شبرا

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٤٢٢٩

جمعية المحبة القبطية الأرثوذكسية

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

النيروزيات

طبعة أولى

١٩٨٢

القمص
صموئيل تاوضروس السرياني

+ الرقم العام: ٢٥٤٢٨
+ الرقم الخاص: ٥/١٤٧
+ القسم: ٢١

صاحب الغبطه والقداسة

البابا الانبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازه المرقسية

حضرة صاحب النيافة

الانبا ثاؤفيلس

اسقف ورئيس دير السيدة العذراء العامر

(الشهير بالسريان)

الأب الموقر

القمص صموئيل تاوضروس السريانى

مقدمة الجمعية

باركى يا نفسى الرب الذى اكرمنا بفضله ، وعظم معنا صنيعه فبارك معنا العمل فامتدت نفحاته واتاح لنا استمرار جمعية المحبة فى رسالتها السابقة فى نشر واصدار الكتب الدينية والكنسية بكافة أنواعها .

وجمعية المحبة القبطية تتقدم بالشكر الى الاب القمص صموئيل تاوضروس السريانى الذى تكرم وقدم هذا التراث الدينى الثمين المتمثل فى هذا الكتاب وكل ما سبق نشره فى سائر المجلات الطائفية ممهورا باسمه وتوقيعه هدية منه للجمعية ليصل الى القراء فى اسفار جديدة ذات طابع قشيب .

وها نحن الآن نقوم بطبع كتاب « النيروزيات » بما فيه من مقالات سبق نشرها على صفحات مجلة « رسالة المحبة » الغراء فى السنين السابقة .

وباذنه تعالى سنوالى نشر المقالات — التى سبق نشرها — فى كتب بعناوين تتناسب مع مادتها ، بالاضافة الى اصدار كتب جديدة لم يسبق نشرها .

ونسال الله ان يكلاه بعنايته ويمنحه الصحة حتى يواصل نشاطه المألوف فى الدفاع عن العقيدة ونشر كلمة الله .

صدر فى توت سنة ١٦٩٩ ـ سبتمبر سنة ١٩٨٢

باركي يا نفسي

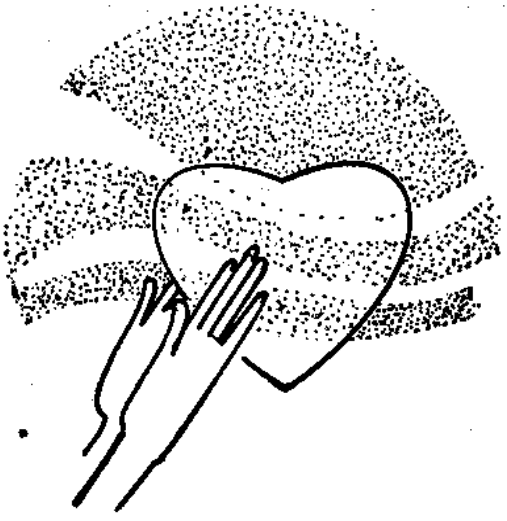

باركي يا نفســـى

« باركى يا نفسى الرب » (مز ١٠٣ : ٣) وحق عليك أن تبـــاركى اسمه القدوس .

باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته لأنه أحسن صنيعه معك ولم يغفلك طيلة العام الماضى بل كان يلاحظ حركاتك ويســـدد خطـــواتك يقودك بيديه ويرعاك بعينيه من اول السنة الى آخرها . باركى يا نفسى الرب لأنه انعم عليك بالايمان وخصك بعقيدة سليمة . ولم يساوم فى أمر فدائك بل دعاك دعوة مقدسة لا بمقتضى برك وصلاحك بل حسب قصـــده الأزلى ونعمته المتفاضلة التى تم بها خلاصك !

باركى يا نفسى الرب ... لأنه اتاح لك الوجود حتى هـــذه الساعة لم يقبضك فجأة ولا هشم كالأسد عظامك لكن أحياك من بعد موات وهيأ لك فرصة التوبة لتخلعى ثوب آثامك وتطرحى عليه نير أثقالك وتتحررى من ذميم عاداتك . فباركى يا نفسى الرب ... بار كيه وزيديه عـــلوا لأنه صالح والى الأبد رحمته . قفى يا نفسى فى رياض نعمائك واستعرضى ما انت فيه من فيض جزيل وخير عميم عددى مآثر العلى الذى احبـــك والقدوس الذى توج حياتك ارفعى يديك الى العلاء واهتفى مـــع المرنم قائلة : بمـــاذا اكافىء الرب عن كل ما اعطانيـــه وكيف يارد له صـــــنيعه المبارك !

سبحى يا نفسى الرب الذى صرخت اليه فى ضيقتى فأجابنى من الرحب وقد عززتنى يمينه ! ...

أجازنى فى الماء ولم اغرق . وعبرت النار باسمه فلم احترق . فهو قوتى وتسبحتى فى الشدائد وعند هبوب العاصفة صار لى خلاصا . أدبا ادبنى بكل الوسائل والى الموت لم يسلمنى بل احيانى لأحدث بألطافه واتغنى بمراحمه دائما وأبدا ..

باركى يا نفسى الرب لأن الأشرار لم يتمكنوا من هلاكك بعد ان احاطوا بك من كل جانب . كنت ضعيفة فى اعين مطارديك ولكن بالنعمة والحق هزمت كل مقاتليك الذين اطعموك خبز الضيق وارغموك على ارتشاف كأس المذلة قالوا لك انحنى لنعبر حتى نجعل من ظهرك طريقا ومن جسمك زقاقا للعابرين . ولكن الرب لم يتركك فى قبضتهم وعز عليه ان تهانى ... !! فأخذ من يدك كأس الترنح وسكبها فى افواه معذبيك فتبدد المشتكون عليك وذهبوا وكأنهم لم يكونوا ... ! فباركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس . خطاياى ازدادت جدا وآثامى تكاثفت كسحاب امامى ومع هذا لم اشرك بك احدا !! لم اسجد لصنم فى حياتى ولم أطبع قبلة على فم البعايم . لم أتملق انسانا مصيره الموت ولم أستند قط على أذرع بشرية . بل آمنت بك وحدك وجعلت عليك اتكالى تأكد وجودك من خلال أعمالك . ورايت صورتك فى تدبير الأمور اكثر اشراقا مما رسمته السطور . وعلى هذا الايمان الراسخ خرزت مع بطرس عند قدميك فى السفينة واتيتك مع السامرية عند البئر بجرة فارغة ومثلت بين يديك مع الابن الضال بخرق بالية ذهب بريقها فى رعاية الخنازير ! واخيرا جئتك فى بيت الفريسى لأقبل قدميك وابلهما بدموعى . فلم تعبس فى وجهى الذى لوحته شمس المآثم ولم تزجرنى لأقف بعيدا بينما كانت رائحة الخطية تنبعث منى ! لم تنتهرنى بكلمة واحدة ولم تزعجنى بنظراتك الحادة بل ناديتنى بصوت حنانك . وسعتنى مراحمك الفسيحة

حيث محوت كغيم ذنوبى وكسحابة خطاياى ، فخرجت من لدنك دون ان أغادر احشاء محبتك ! خرجت لاخير اخوتى باسمك وامجدك بين الجماعة ولسان حالى يقول : ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب (مز ٣٤ : ٨) حقا ما اطيب الرب ... ! وما اجوده لسائليه !! ما اغزر مراحمه وما اكثر الطافه الخفية انه حنان كريم يشرق شمسه على الصالحين والطالحين . ويفتح يده السخية فيشبع الأبرار والاشرار فى وقت واحد لا يميز بين اسود وابيض وسيان لديه اهل الغرله والختان . فيه تعزيه لجميع الحزانى وسلام لكل الذين ازعجتهم متاعب الحياة . يفرح بالتائب اكثر من حزن على المسىء ! ومن يقبل اليه لا يخرجه خارجا . فباركى يا نفسى الرب الذى يملأ عدله السماء والأرض . باركى يا نفسى الرب الذى يشفى كل امراضك عندما يفشل فى علاجك الطبيب ويقف بجانب سريرك حينما يهرب من خدمتك اقرب الناس اليك .

باركيه يا نفسى لانه يفدى من الحفرة حياتك ليست الحفرة التى تعثر فيها قدماك ولكن الحفرة التى تهبطين اليها لو مت على غير رجاء المسيح ! انه يمدك بكل وسائل الخلاص حتى تتفادى السقوط من هاويتها ولا تستقر روحك بين اخليتها . باركى يانفسى الرب الذى يكالك بالمراحم والرافات ويسر بك بشتى المواهب الذى يسكب عليك التعزية فى الضيقات ويجملك بالصبر عند حلول النوائب الذى يمنحك معرفة الخلاص ويغدق عليك احشاء مراحمه الوفيرة التى افتقدنا بها المشرق من العلاء . باركى يا نفسى الرب الذى يشبع بالخير عمرك لا الى زمن معين ! بل كل ايام حياتك انه يبارك فى القليل الذى بين يديك فلا تلتفتى الى كنوز الأغنياء . هم يسألونك حاجة وانت لا تحتاجين الى شىء منهم وهكذا يفضل عنك الخبز ويموت غيرك جوعا . قد ينعم الرب عليك بخبز الكفاف فيمنح جسمك نشاطا وقوة بينما يقتات غيرك بأفخر الأطعمة فتذهب به الى طريق العلة والمرض ينظر بغل الى بهائك وانت تأكلين القطانى ثم يمتلىء حسرة على نفسه العليلة التى يفضل عنها الزبد والعسل . وباركى يا نفسى الرب ... الذى باسمه

ارفع يدى فتمتلى نفسى من شحم ودسم آنه القدوس الذى يصيبك بالعطايا ويعولك فى زمن المجاعة انه لن ينساك فى زمن الشدة ولا يتخلى عنك فى وقت الضيق . فقد نقش اسمك على كفه وجعل صورتك أمامه فى كل حين باركى يا نفسى الرب ... فهو راعيك الصالح الأمين الذى يربضك على موضع خضرة ويأتى بك الى مياه الراحة الى سبل البر يهديك وبعكازه يعزيك يمسح بالدهن رأسك وفى طريق الموت يتقدمك ويقويك .

باركى يا نفسى الرب الذى يجدد مثل النسر شبابك . فلا يقترب منك الوهن ولا تعبث الشيخوخة بزهرة جمالك .

انه فاديك الذى يتوجك بالسلام الدائم ويطرد من قلبك الحزن والتنهد .

يملأ خيامك فرحا ونعيما وينعم عليك بالبهجة والمسرة .

فباركى يا نفسى الرب وكل ما فى باطنى فليبارك اسمه القدوس .

أنا.. لا أنسى أجدادى

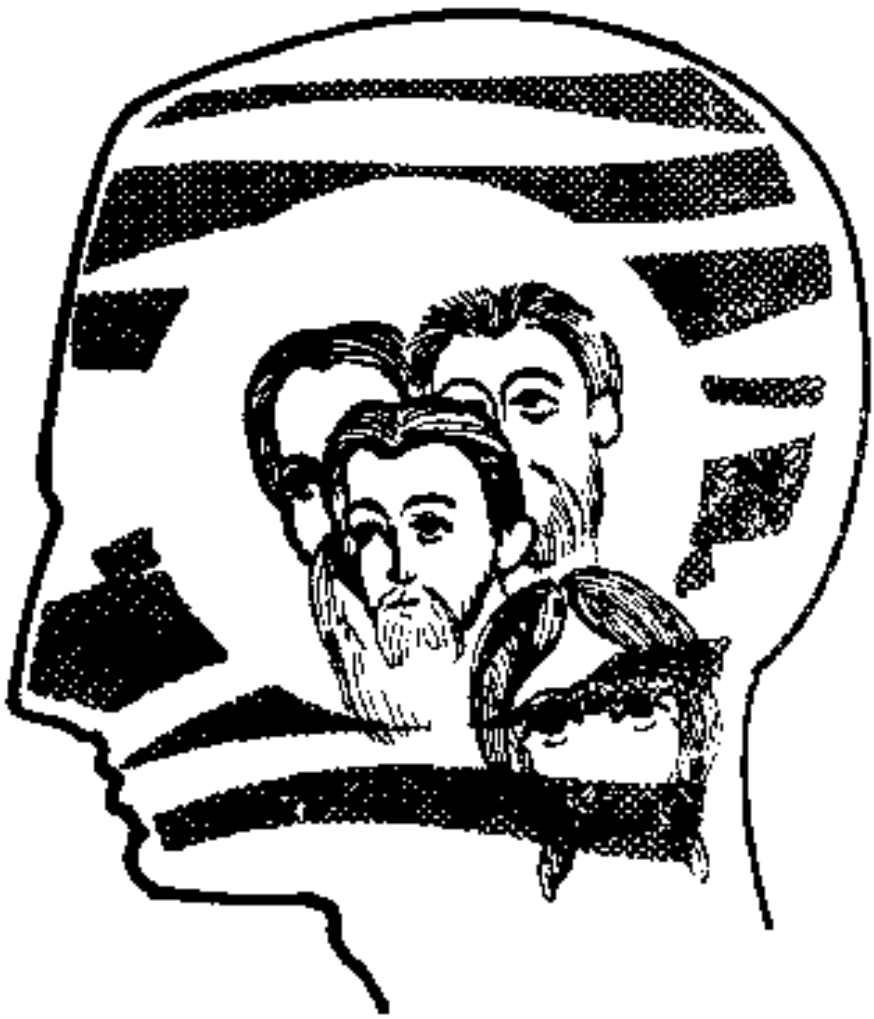

أنا لا أنسى أجدادى*

اقبل يوم النيروز المبارك رأس السنة التوتية التى وضع تقويمها أجدادى الأوائل منذ أكثر من ستة آلاف سنة وجعلوا من دورة الشمس فى فلك البروج عاما كاملا قوامه اثنى عشر شهرا يتألف منها أربعة فصول .

ففى ١٣ توت يبدأ فصل الخريف والشمس فى أول درج من برج الميزان فينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة وتتصل الزهرة بالقمر .

وفى ١٣ كيهك تكون الشمس فى رأس الجدى فيستقبل بقرنيه فصل الشتاء حيث يشتد البرد ويظهر أول الصقيع .

وفى ١٢ برمهات تحل الشمس فى رأس الحمل فيأتى الربيع الذى يعتدل فيه الهواء ويخضر الوادى وتزهر الأشجار .

وفى ١٤ بؤونة تدخل الشمس برج السرطان وبدء أيام الصيف فيشتد الحر وتستوى المعادن فى باطن الأرض ويبشر بزيادة النيل وهكذا تكتمل الفصول بعد مسيرة طويلة ، وتعود الدورة الفلكية الى نيروز جديد يبدأ بشروق الشعرى اليمانية قبل الشمس بفترة قصيرة فى أوائل الخريف .

ونستطيع أن نؤكد من الظواهر الطبيعية التى الفناها فى مصر أن السنة التوتية كانت فى دقتها كالاغريغورية قبل أن تعرف و استمرت على صحتها حتى قام سوسيجين الفلكى سنة ٤٦ ق.م باصلاح السنة الشمسية

---

* رسالة المحبة ١٩٧٠ .

الرومانية بأمر يوليوس قيصر فجعلها ٣٦٥ يوما وست ساعات كاملة ، ويرجح أنه منذ ذلك الحين أخضع لتعديله السنة المصرية أيضا ، وكانت تنقص عن اليولیانية بمقدار ١١ دقيقة ، ٩ ثوانى . فهذه الزيادة التى أوجبها التوقيت اليولیانى عادت بالاعتدال الربيعى من ٢١ مارس كما رسم المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م الى ١١ منه سنة ١٦٨٢ م وهى السنة التى أجرى فيها البابا اغريغوريوس تعديله المشهور ، فلو كان التقويم المصرى منذ وضعه كالتقويم اليولیانى الذى يزيد ثلاثة أيام كل أربعة قرون لغدت الزيادة لدينا الآن أكثر من خمسين يوما وهى مدة كافية أن تجعل من الصيف خريفا ومن الخريف شتاء ، الا أننا لم نر أثرا ملموسا لذلك . ولكن الذى حدث بعد الاصلاح اليولیانى وظهر أثره واضحا فى أوائل القرن الرابع هو أن ٢٩ كيهك سنة ٣٢٥ م كان يوافق ٢٥ ديسمبر ، صار يوافق ٥ يناير القرن الثامن عشر ثم السادس منه فى القرن التاسع عشر الى أن امسى معادلا للسابع منه فى أوائل القرن العشرين ، وسوف تستمر هذه الزيادة بمعدل يوم واحد كل ١٣٤ سنة ما دامت الأرض دائرة ! لهذا يطالب البعض باعادة النظر فى التقويم التوتى وعلة سيره مع اليولیانى على مدار واحد كما ذكرنا ، ولكن قبل أن نباشر أى تعديل فعلينا أن نتأكد أولا من يوم عيد الميلاد فى التقويم اليولیانى وهل ما برحت السنة التوتية تبدأ لأول لحظة من شروق الشعرى اليمانية ؟ وهل يتفق هذا الكوكب فى الساعة الأولى من بدء السنة مع الشمس والأرض على خط مستقيم واحد ؟ ان الذين لا يتمكنون من الاجابة على هذه الأسئلة عليهم أن يخرجوا بهذه القضية من المحافل الدينية ويرفعوها الى الفلكيين وغيرهم من جهابذة علم الهيئة دون أن يجعلوا للدين مدخلا فى ذلك .

† † †

العسكرية بين اجدادى :

وكان قومى حكومة وشعبا من العسكريين الأكفاء المدربين على الحرب والنزال فاستطاعوا أن يقفوا فى وجه مطامع الغزاة الذين كانوا يتطلعون نحو وادى النيل السعيد ويرمون الاستيلاء على بقاعه الخصيبة ، ولم يحتفظوا بحدود بلادهم فحسب بل تجاوزوها شرقا وغربا وجنوبا لا سيما فى عهد الأسرة الثامنة عشرة التى حكمت مصر من ١٧٠٣ — ١٤٦٢ ق.م وقد اشتهر من ملوكها تحتمس الثالث الذى مات سنة ١٤٤٧ ق.م . وفى حوزته الحبشة والنوبة والسودان والشام والجزيرة والعراق العربى وكردستان وارمينيا وقبرص وكانت أخته حتشبسوت التى سبقته فى حكم مصر قد ضمت الى بلادها اقليم بون فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب وكانت تأتى منه بكل ما يلزمها من مواد البناء علاوة على أنواع الأفاوية والعطور والصمغ والذهب والفضة والأحجار الكريمة التى توجد بكثرة فى تلك الاصقاع . وقد اشتهر أيضا من ابطال ملوكنا فى الأسرة التاسعة عشرة رمسيس الأول وسيتى ورمسيس الثانى « سيزوستريس » الذى واصل فتوحاته الى نهر الكلب قرب بيروت وسجل انتصاراته على حجر هناك وحارب الحيثيين سنة ١٢٨٨ ق.م وبدد شملهم وكانوا من القوة على جانب عظيم ثم ابرموا معه معاهدة صلح على لوحين من الفضة تعهدوا فيهما الا يشهروا فى وجهه سلاحا مرة اخرى !

علوم ومعارف :

وكان أجدادى يحسنون كثيرا من الصناعات التى لم يعرفها غيرهم من معاصريهم فأجادوا صنع ورق الكتابة المعروف بالقرطاس المصرى من شرائح نبات البردى المضغوط ونسجوا من الكتان الموشى بالذهب والفضة حللا نفيسة وصنعوا أوانيهم المنزلية من الخزف والزجاج والرخام المرمر ، كما

أتقنوا صناعة الحلى من الذهب والفضة ولا يزال المتحف المصرى يحتفظ بمجموعة منها صنعت فى عهد الأسرة الثانية عشرة ، لا تقل فى حسن تنسيقها ودقتها من صناعة الوقت الحاضر .

وقد ضرب أجدادى بسهم وافر فى العلوم الفلكية فدونوا أول تواريخهم سنة ٤٢٤١ ق.م وحسبوا أزمنة السنة بتحديد دقيق واستعانوا بالهرم الأكبر فى معرفة سير الكواكب وحركاتهم .

وتمكن أجدادى من الوقوف على أسرار فن الهندسة والعمارة . فبنى الملك خوفو مؤسس الأسرة الرابعة هرم الجيزة الأكبر سنة ٣٠٩٨ ق.م ، وفيه تجلت مهارة الصانع المصرى من حيث انتخاب الأحجار وجودة نحتها وضبط زواياها ورق الملاط الذى بينها . وشيد خفرع الهرم الثانى وعلى مقربة منه وقعت أنظار مهندسيه على كتلة من الحجر الجيرى الأشهب فشكلوا منها صورة لملكهم فى تمثال يجمع بين رأس الانسان المفكر وجسم الأسد الجبار ، وهو ما كان يسمى قديما خورماخيس وحاليا أبو الهول .

وصنع أسرتسن الأول مسلة عين شمس الرائعة سنة ١٩٣٨ ق.م ، وكان لتحتمس الثالث مسلتان من هذا النوع نقلهما الوالى باربا روس من عين شمس الى الاسكندرية سنة ٢٣ ق.م وقد أهديت الواحدة الى لندن سنة ١٨١٩م والأخرى الى نيويورك سنة ١٨٧٧م وتفوق أجدادى فى صناعة السدود وحفر القنوات فبنى الملك مينا سنة ٣٥٠٠ ق.م سد القشيشة الذى بموجبه حول مجرى النيل من الصحراء الغربية الى شرقى مدينة منف التى أسسها وجعلها قاعدة لملكه . وأنشأ أسرتسن الثالث سنة ١٨٨٧ ق.م قناة بين الجنادل فى صخر الصوان المحبب حتى لا تعترض أحجارها السفن وصنع أمنحتب الثالث سنة ١٨٤٩ ق.م خزانه المعروف ببحيرة موريس ، وبه تمكن من خزن مياه الفيضان الضائعة والانتفاع بها فى رى أراضى الفيوم

الشاسعة . وقد تمت كل هذه المنشآت الجبارة قبل أن يتوصل الانسان الى الاختراعات الحديثة التى يستعملها الآن بمشقة فى مشروعات كهذه .

ناهيك عن نبوغهم فى الكيمياء والطب والتشريح والتحنيط الذى لا يزل سرا غامضا الى اليوم ! ومقدرتهم فى العلوم الفلسفية والقوانين الادارية فجاء اليهم وتتلمذ تحت اقدامهم العلماء من كل فج وصوب . وفى مقدمتهم ليكرنج وصولون وفيثاغورس وافلاطون واقليدس وغيرهم من كبار المفكرين .

ولا احسب نفسى مبالغا اذا قلت ان أجدادى كانوا أول من عمل على تذليل الجو لخدمة الانسان ، فقد جاء عن الحفار ديدال المنفى انه هاجر الى جزيرة كريت ، ولما اضطهده مليكها مينوس صنع لنفسه أجنحة ليطير مع ولده ايكار الى جزيرة صقلية وبعد أن سبح فى الهواء أميالا سقط فى البحر وذلك كما روت مجلة رعمسيس الصادرة فى أمشير سنة ١٦٢٩ ش .

ديانة اجدادى :

اعتقد المصريون فى بادى امرهم كما شهد ثقات المؤرخين ، بانه واحد سرمدى قدير ليس له بدء ولا نهاية عادوا فرمزوا لصفات هذا الاله الواحد بعدة رموز مختلفة دون أن يتناسوا جوهره المقدس ، ولكن بمرور الزمن اتخذت العامة من هذه الرموز آلهة لها ولم يحتفظ بعبادة الاله الحق سوى الكهنة وبعض الأشراف .

وعلى الرغم من تعدد الآلهة واختلاف اسمائها فقد كان مرجع جميعها الى الهين عظيمين هما : بتاح فى منف وهو الخالق العظيم ، ورع فى طيبة واليه يعزى سر وجود الكائنات من انسان وحيوان ونبات ! وكانوا يمثلون رع وهو الشمس عند شروقها بالاله « هرمخيس » ويدعونه رع عند الظهيرة وتوم وقت الغروب واويزيرس لدى هبوطها فى العالم السفلى او احتجابها خلف الأفق .

وقد ظهر نوع من التثليث فى بعض المقاطعات المصرية فكانوا يضمون ثلاثة آلهة فى اله واحد ، كما حـــدث فى منف التى كان يقوم ثالوثهـــا من أوزيرس وأيزيس وهوريس .

ومع تعدد الآلهة بين أجـــدادى وتقديســـهم العجـــل ابيس فى منف والتمساح فى الفيوم والنمس فى أهناسية وابن آوى والذئب فى أسيوط ، فقد كانوا على جانب عظيم من الرقى الفكرى والأخلاق الكريمة التى يفتقر اليها كثيرون من ذوى الأديان فى عصرنا هذا . ومن كلماتهم المأثورة : ان احسن الرجال فى نظرهم من كان قوى الجأش والارادة ، مستقيما ، محترما لنفسه ، مجتنبا أخلاق السوء ، نشيطا صادقا ، لا يعرف الغش ولا التمويه ، حازما متبصرا ، حافظا لكرامته بلا تكبر ولا تعاظم .

وكان ايمانهم كاملا بالبعث والخلود والثواب والعقـــاب فقد وجد فى مقبرة سيتى الأول صورة الحشر والنشر والحساب وصورة المجرمين وقد قطعت رؤوسهم وصورة المتقين وهم يرفلون فى النعيم .

وكان المائل بحضرة العادل كما جاء فى كتاب الموتى ينفى عن نفســـه ارتكاب المحرمات فيقول : لم اعذب الأرملة ولم أخدع أحدا ، ولم أكذب قط ولم اعبث بالحق ولم اعرف الخيانة أو الـــكسل ولا التعجرف . ولم أدنس الأشياء المقدسة ، ولم أسمع لضرر العبد لدى مولاه ، ولم اجوع احدا ، ولم ابك أحدا ، ولم أحمل أحدا على ارتكاب جريمة قتل ، ولم أحمل العامل فوق طاقته ، ولم اغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم اشهد زورا ولم اسرق خبز المعابد ولم أحرز مالا حراما وغير ذلك من الأمور التى تدل على نقاء السيرة وحسن الطوية .

ولرقى أجدادى وتأصلهم فى الحضارة كانوا يساوون فى الأرث بين الذكر والأنثى ويلقبون المرأة المتزوجة بسيدة البيت ولا يحرمونها من ارفـــع المناصب فجلست اثنتان منهن على سرير الملك وصارت الثالثة رئيسة لكهنة آمون فى أيام النهضة المصرية .

وكان اجدادى يعتنون بنظافة اجسادهم وجثث موتاهم فلم يسمع بينهم بوقوع وباء قط ، كما ان ما نراه الآن من انحراف خلقي لم يجد بينهم سبيلا !

المسيحية بين اجدادى :

فى سنة ٧٤٩ لتأسيس مدينة روما والثانية والأربعين لملك أوغسطوس قيصر ولد المسيح فى قرية بيت لحم يهوذا الواقعة على مشارف مدينة القدس ، وذلك كما وعد الله بارساله واتماما لكل ما جاء عنه فى كتب الأنبياء . ولما بلغ الثلاثين من عمره اخذ يزاول رسالته التبشيرية مؤيدا اياها بالخوارق والمعجزات فحقد عليه اليهود وأماتوه صلبا فى ولاية بيلاطس البنطى ولكنه قام من القبر فى اليوم الثالث وظهر لتلاميذه مرارا ، وأمرهم ان يمضوا الى جميع الأمم ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس فخرجوا من علية صهيون بعد أن نالوا قوة من الأعالى فطفقوا يجولون فى كل انحاء الأرض فوصل منهم الى بلاد اجدادى القديس مرقس الرسول الذى اخذ يطوف فى شوارع الاسكندرية حتى وصل الى آنيانو الاسكافى وكان له معه قصة عجيبة انتهت بايمانه فصار انيانو باكورة النصارى بين ابناء جنسى الذين كانوا مع وثنيتهم يعتقدون بخلود الروح ووقوفها أمام ديان عادل ، لهذا اقبلوا على اعتناق المسيحية بشغف زائد وذلك بعد أن ناقشوها مرارا وراوا فيها مصدرا نقيا لجميع الفضائل فلم يكتمل القرن الأول الميلادى الا وكانت فى الاسكندرية كنيسة منتظمة من اسقف وكهنة وشمامسة يدين لها بالولاء والطاعة جماعة من المؤمنين الأتقياء فى العاصمة وبلاد الخمس مدن الغربية والأقاليم المصرية . وفى القرن الثانى عمم البابا ديمتريوس الأول ١٨٨ — ٢٣٠ م النظام الأسقفى فى مصر لازدياد عدد النصارى ، ولم يكتمل القرن الثالث الا وكانت المسيحية قد تأصلت فى بلاد الكرازة المرقسية من القيروان غربا الى رفح شرقا ، ومن الاسكندرية شمالا الى اسوان جنوبا .

استبسال ودماء :

ان المسيحية التى اعتنقها اجدادى بمحض ارادتهم لم ترق مبادؤها السامية فى أعين مستعمريهم من الرومان الذين ألفوا التفرقة العنصرية ، والتفاوت بين الطبقات ، وملأوا معابدهم بالارجاس والقبائح التى تأباها الكرامة والشرف فأوقعوا الفتنة بين المؤمنين ومواطنيهم الذين كانوا لا يزالون على وثنيتهم . ولكن ليست الوثنية المصرية القديمة بل وثنية السكر والعربدة فى أروقة باخوس ، والفسق والمجون فى هياكل الزهرة ! ووقفت روما بجانب أولئك المنحرفين وامدتهم بالمال والسلاح فكانت الاشتباكات العنيفة والمذابح الشنيعة التى احتضنتها الحكومة ، وآزرتها بكل ما لها من امكانيات مالية وعسكرية فاستشهد فى هذه المجازر الرهيبة على عهد القيصر تراجان البابا كرذونوس اسقف الاسكندرية سنة ١٠٦م ، ثم توالت حوادث الاستشهاد بين افراد القطيع الصغير فأحرقت القديسة مارسيلا وابنتها العفيفة بوتامينا ، وقطعت راس القديس ليونيداس الذى انجب الحبر الطاهر العلامة أوريجانوس النجم اللامع بين رجال الفقه المسيحى ومفسرى الكتاب . واشتد الخطب أيضا فقتل أعداء الحق عددا من شهوده الأمناء ، وفى مقدمتهم ميسورة اسقف مصيل وغلينيكوس اسقف أوسيم وتوفيس الفيومى وزوجته ومارمينا العجائبى وشنودة البهنساوى ويوليوس الاقفهصى واسحق الدفراوى وقلتة الأنصاوى طبيب العيون وبسخيرون القلينى وغيرهم من أقطاب المؤمنين ومشاهيرهم وقد بلغ الاضطهاد ذروته فى عهد دقلديانوس قيصر فجعل اجدادى اليوم التاسع والعشرين من شهر اغسطس سنة ٢٨٤ م يوما مشهودا يبدأون منه تاريخ الشهداء . واستمر خلفاء هذا الطاغية يواصلون نشاطهم المحموم حتى قتلوا البابا بطرس الأول فى ٢٥ نوفمبر سنة ٣١١ م ، وهو المعروف بخاتم الشهداء ولعلهم يقصدون بهذه التسمية شهداء الباباوات لأن الشهادة بين المؤمنين ظلت فى مختلف العصور ، تحمل رايتها الحمراء حتى انتهت الى المعلم سيدهم بشاى كاتب محافظة دمياط الذى لفظ أنفاسه بعد عذاب شديد من رعاع المدينة فى ٢٥ مارس سنة ١٨٤٤ م .

العصر المسيحى :

بعد كفاح متواصل وجهاد مرير استشهد فيه مئات الآلاف من أجدادى الأبرياء أصدر الامبراطور ثيودوسيوس الأول مرسوما ملكيا سنة ٣٨١ م يقضى بأن تكون الديانة المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية وكل ولايتها فتنفس الأقباط الصعداء واخذوا يصلحون ما أفسده الزمن ، ويعالجون برفق مشاكل الوثنيين الذين تخلفوا فى البلاد حتى اتوا بهم أخيرا الى حظيرة المسيح .

وقد برز فى هذه الفترة بمدينة الاسكندرية ثلاثة من البابارات العظام هم اثناسيوس وكيرلس وديسقوروس الذين علاوة على نبوغهم فى القضايا اللاهوتية ومحاربة البدع والهرطقات فقد كانوا على جانب عظيم من المقدرة السياسية والجاه والنفوذ ، فدان لهم المصريون بالولاء والطاعة وأعطوهم تفويضا كاملا للتحدث عنهم فى كل قضاياهم فكان سلطانهم — وهم على السدة البطريركية — لا يقل عن ملوك الفراعنة حينما كانوا يحكمون البلاد.

ولكن مما يؤخذ على ثلاثتهم انه على الرغم من تمتعهم بكل هذه المزايا مع وحدة الشعب الذى كان تحت سيطرتهم ، لم يفكر أحد منهم فى تحرير بلاده والخروج بها من مظالم العبودية الى عدالة الحرية والاستقلال بل استطابوا خبز المذلة والهوان ، ورضخوا لنير الحاكم الغريب الذى لم يقنع بما يبدونه نحوه من استكانة وخضوع بل انتهز فرصة الشقاق الدينى الذى احدثه مجمع خلكيدون سنة ٤٥١م وقبض على البطريرك ديسقوروس وساقه الى النفى فى جزيرة غاغرا . واخذ ينكل باتباعه العزل الذين قاوموه مذهبيا ولم يقنوا فى وجهه عسكريا لأن الكنيسة أهملت تربيتهم الوطنية ولم تحدثهم عن أجدادهم الذين طردوا الهكسوس بعد أن حكموا وادى النيل زمنا طويلا ! ومن ثم صاروا غرباء فى أوطانهم لا طاقة لهم بمواجهة العدو ، ولا خبرة لديهم فى حمل السلاح ، بل كانوا يذوبون من بريق السيف ويرتاعون من رؤية الرماح لهذا ازداد الحاكم قسوة عليهم وتفنن فى اذلالهم حتى أن القيصر الذى تولى الحكم سنة ٤٥٧ م خلفا لبولخاريا قتل ثلاثين الفا من

أقباط الاسكندرية . فلو وجه المسئولون نصف هذا العـــدد توجيها وطنيا وأعطوا لكل منهم عصا ومقلاعا شأن رعاة الغنم فى بلاد الشرق ! لردوا السيف عن رقابهم ، ودافعوا عن شيوخهم واطفالهم ، وارغموا المستعمر على الانسحاب .

ولو كان لدينا فتية كداود يمزقون الدب ويقتلون الأسد اصم ١٧ : ٣٦ وشيوخا مثل كالب بن يفنة يتقلدون السيف وهم فى الخامســـة والثمانين (يش ١٤ : ١٠) وغلمانا يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة ولا يخطئون (قض ٢٠ : ١٦) لو كان لنا مجموعة كهذه لمـــا أصابنا شيء من الجـــور والهوان على ايدى الحاكم الجبان !!

لهذا عكفت بيزنطة على اضطهاد اجدادى كنيسة وشعبا بعد أن لمست فيهم الضعف وعدم المقاومة حتى قضت على كل ما تبقى من قواهم المتهالكة فكانت متاعب العهدالمسيحى لا تقل عن مساوىء العصر الوثنى ان لم تزد عليها دناءة وخسة . واستمر الوضع على هذه الصورة البغيضة الى سنة ٦٤٠ م التى فيها ظهر الاسلام وفتح العرب مصر بأربعة آلاف مقاتل كان أضعاف أضعافهم من شباب القبط بين جدران الأديرة يعملون فى صـــناعة الســـــلال !

وقد كان الفاتح كريما فى معاملة أجدادى الذين كانوا يدينون بالمسيحية جميعا ، فجعلهم فى ذمته وصالحهم على ستة شروط وهى : (١) أن يدفعوا دينارين جزية على كل نفس منهم ما عدا المراة والشيخ الفانى والصبى الذى لم يبلغ الحلم (٢) الا يخرجوا من ديارهم (٣) ولا تنزع نساؤهم (٤) ولا كنوزهم ولا أراضيهم (٥) ولا يزاد عليهم (٦) ويرفع عنهم موضع الخوف من عدوهم .

ومقابل ذلك التزم الأقبـــاط من جانبهم بســـتة شروط ايضـــا تعرف بالمستحقة وهى : (١) الا يذكر اهل الذمة كتاب الله بطعن فيه ولا تحريف له (٢) الا يذكروا رسول الله بتكذيب ولا بازدراء (٣) الا يذكروا دين الاسلام بذم ولا قدح فيه (٤) الا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح (٥) الا يفتنـــوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دمـــه (٦) الا يعينوا اهل الحـــرب ولا يأووا أعنياءهم .

وقد ترك عمرو لكبار القبط جباية الجزية المفروضة عليهم حسب معرفتهم فكانوا عند توزيع المال على اجتماع القرع وسط المزارع يدخلون فيه ما بقى بحاجة كنائسهم وصيانة اديرتهم وما شابه ذلك .

الا ان هذا الأمر لم يدم طويلا ، فعندما آلت الخلافة الى معاوية بن ابى سفيان ، كتب الى وردان عامل الخراج بمصر يقول : « ان زد على كل رجل من القبط قيراطا » ، فكتب اليه وردان يقول : « كيف نزيد عليهم وفى عهدهم انه لا يزاد عليهم شىء » ، فعزله الخليفة وعين من نفذ أمره !

وظل حكام مصر الذين ليسوا من بنيها يتفننون فى تعذيب المواطنين على اختلاف اديانهم وارهاقهم بالمظالم الفادحة ، حتى قيض الله لمصر ابنها البار الخارج من أحشائها « جمال عبد الناصر » الذى أرسى قواعد العدالة والانصاف ، وظل يعمل فى ميدان الشرف والكفاح حتى فاضت روحه الطاهرة فى مساء يوم الاثنين ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ وهو يحاول تضميد جراح العرب ووقف دمائهم التى انفجرت فى الأردن الشقيق ، وهكذا انتقل الى جوار ربه بعد أن البس بلاده حلة قشيبة ، ونقش اسمه فى لوحة الخلود !

المسيح يبارك اجدادى :

والآن ننهى حديثنا بهذه المنحة الدهرية والبركة الالهية التى اختصنا بها رب الجنود . مبارك شعبى مصر اش١٩:٢٥ ، كانت مصر على عهد اشعياء الذى عاش قبل التجسد باكثر من سبعة قرون ، فى نهاية حكم الأسرة الثانية والعشرين وأوائل الثالثة والعشرين وان كانت قوتها فى ذلك الوقت لا تقاس بما كانت عليه فى حكم الأسرة الثامنة عشرة ، آلا انها كانت محتفظة بكثير من مزاياها العلمية والأدبية والعسكرية على نوع ما ، فاتخذ منها اشعياء رمزا لكل الأمم التى سوف تسلمها بركات الانجيل ونعم الفداء . وتحقق قول النبى عندما قبلت مصر المسيح لاجئا ، وحينما أسرعت لقبول البشارة المقدسة فى بدء الكرازة . فبعدما كان الرب يقول عن الاسرائيليين شعبى ، وميراثى ، وعمل يدى ، عاد ودعاهم بالكرامين الأردياء ، والبنائين

الذين رذلوا حجر الزاوية وأولاد الاماعى ولبناء قتلة الأنبياء الذين رفضوا قبوله مخلصا وفاديا . اما الذين قبلوه فاعطاهم قوة وسلطانا ليصيروا من أبناء الله . فمبارك شعبى مصر . شعبى الذى مثل بلاده فى يوم الخمسين اع ٢ : ١٠ ، شعبى الذى اعتز بمسيحيته وجعل منها تسميته الكريمة . شعبى الذى لم ينكرنى فى أحلك الظروف واعترف باسمى مزدريا بكل وسائل التعذيب والدماء . شعبى الذى فضل أن يسئل من أجلى ورفض خزائن القيصر وجعل وعده ووعيده على حد سوى ! شعبى الذى يحتفظ بايمانه الأرثوذكسى ويحمل فى كل تصرفاته رائحة المسيح الذكية .

مبارك شعبى ... لا سيما يفتقد الأرملة واليتيم ويحتفظ بعفافه بين مفاتن الحياة .

† † †

عَامٌ مَضَى

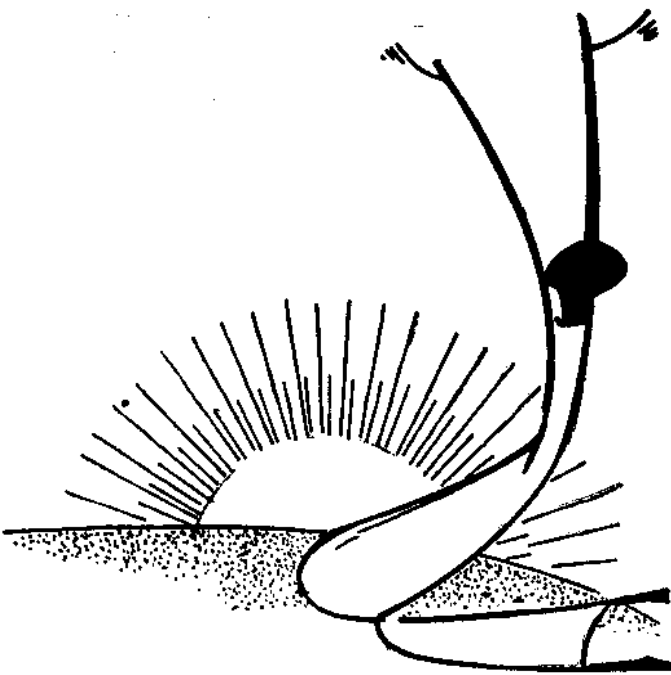

عـــام مضى*

عام مضى ، وشهور مرت ، وأيام عبرت . وفى الدقيقة الأولى من بعد منتصف الليل الموافق يوم الخميس المبارك استقبلنا اليوم الأول من شـــهر توت لعام ١٦٨٦ حسب تقويمنا المصرى القديم .

التقويم الذى اعتمد عليه موسى النبى فى تدوين حوادث الخليقة .. وبموجبه حدد الاعياد والمواسم التى ما زالت قائمة عند قومه آل الكتاب من العبرانيين الذين أخذوا من سنتنا الشمسية نظاما قمريا لا يختلف عنا الا من حيث أيام الشهور ، فيأتى الواحد منها ثلاثون يوما ، والآخر تســـعة وعشرون ولكى يسووا سنتهم العبرية بالسنة المصرية التى أخذوا عنهـــا ، كانوا لكل ثلاث سنين يضيفون شهرا الى أذار ويسمونه اذار الثانى والسنة التوتية التى وجدت قبل الميلاد بما يقرب من خمسة آلاف سنة لا تختلف من حيث مقدار الزمن الذى تستغرقه فى دورة البروج ، عن السنة اليولیانية الغربية التى أصلحها سوسيجين الفلكى المصرى الكبير سنة ٤٦ ق.م بأمر يوليوس قيصر وجعل منها ٣٦٥ يوما ، ٦ ساعات كاملة .

وقد أخذ بحسابها آباء المجمع المسكونى الأول الذين اجتمعوا فى نيقية سنة ٣٢٥ م ورسموا أن يكون الاعتدال الربيعى فى ٢١ آذار حتى يتســـنى لهم تحديد عيد القيامة الذى يجب أن يحتفى به دائما بعد فصح اليهود أى الأحد الذى يلى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان . وحرموا من يفصـــح قبل تعادل الليل بالنهار ونزول الشمس فى برج الحمل . حتى لا يأتى عيدنا قبل فصح اليهود ، أو يقع معه فى يوم واحد فنشترك معهم فى انتظـــار مســـيح آخر !!

---

* رسالة المحبة ١٩٦٩ .

ولكن اتضح فيما بعد ان التعديل اليوليانى لم يأت بالفائدة المطلوبة ، وان السنة حسب تقدير علماء الفلك المدققين هى ٣٦٥ يوما ، ٥ ساعات ، ٤٨ دقيقة ، ٥١ ثانية ، فهذه الزيادة التى وجدت فى التقويم اليوليانى جعلت الاعتدال الربيعى سنة ١٥٨٢ م يقع فى ١١ آذار ويتأخر عن موعده عشرة ايام ، فلما راى اغريغوريوس الثالث عشر اسقف روما هذه البلبلة الفلكية عمد الى اصلاحها فاستدعى الى مقره البساباوى جماعة من كبار علمـــاء الفلك وفى مقدمتهم العلامة ليليو الفلكى الايطالى الشهير واخذوا يتشاورون ويتدارســـــون .

واخيرا استقر رأيهم بعد مداولات كثيرة ان يجعلوا اليوم الحادى عشر من شهر آذار هو اليوم الحادى والعشرون منه ومن ثم رجع الاعتدال الربيعى الى وضعه الصحيح .

ولكى يتفادوا الخلل الذى زحزح الاعتدال عن موضعه الأول جعلوا السنين القرنية كل ثلاث منها بسيطات وكل رابعة كبيسة ، وذلك خلافا للحساب اليوليانى الذى تقع فيه كل السنين القرنية كبيسة بدون استثناء .

ولمـــا كانت الزيادة فى السنة اليوليانية وهى ١١ دقيقة ، ٩ ثوان ينتج عنها يوم واحد فى كل ١٣٤ سنة وثلاثة ايام فى كل اربعمائة ســـــنة وسنتين فقد تناول الاصلاح الغريغورى الزيادة التى توجد فى الأربعمائة سنة . أما الخلل الذى تحدثه السنتان فقد أهمل الفلكيون اصلاحه نظـــرا لتفاهته اذ لا يكاد يحصل من مجموعة يوم واحد فى كل ٢٦٨ جيلا .. !!

وقد آستحسن هذا التعديل علماء الفلك فى كل زمان ومكان وجعلوا منه قضية علمية لا دينية ، كما استصوبه اخيرا السعيد الذكر الباحث المدقق القمص عبد المسيح صليب المسعودى البراموسى والأستاذ العلامة جرجس فيلوثاوس عوض فى كل البحوث الفلكية التى أجرياها . وبما أن الانجيـــل لم يحدد بصورة حاسمة يومى الميلاد والقيامة فاننا نرحب من اعماق قلوبنـــا

بالوقت الذى تتوحد فيه أعياد المسيحين وطقوسهم حتى لا يحتفى بالعيد عند قوم من المؤمنين وبعد مرور أسبوعين يعيد له فى مكان آخر !

هذا وقد اعتاد الأقباط منذ القدم أن يجعلوا من بدء السنة التوتية يوما مشهودا يحتفون فيه بذكرى شهدائهم الأماجد الذين توجوا قائمتهم بالقديس مرقس الانجيلى البطريرك الأول لمدينة الأسكندرية ، وهو الرسول الجليل الذى بعد أن غرس بذار الايمان المسيحى فى كورتنا المحبوبة قبض عليه الوثنيون وجروه فى شوارع المدينة وهم يركلونه ويصيحون خلفه حتى نزفت دماؤه واسلم روحه الطاهرة فى ٣٠ برمودة سنة ٦٨ م فحمل المؤمنون جثمانه بكل اكرام واجلال ولحدوه فى كنيسة بوكاليا التى كان قد شيدها واعدها للعبادة قبل الاستشهاد بزمن وجيز .

ومن الاسكندرية انبثق نور الايمان المقدس فحمل شعلته الوهاجة شهود الرب الأفاضل وتسللوا به الى المدن والقرى حتى اخترقوا اعماق الوادى وتركوا منه على ضفاف النيل منائر مشعة متلاصقة جعلت من ليل الوثنية الحالك البهيم شمسا ساطعة ترسل اشعتها الذهبية على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت وتعطى شجاعة للخائفين وأملا ورجاء للذين أرهبتهم الآلهة الباطلة بطقوسها المخزية وازعجتهم بأشباحها المخيفة ! فلما راى كهنة البعليم كساد تجارتهم وخاف الحاكم منطق هذا الدين الجديد الذى لا يقر الظلم ويقاطع أسواق النخاسة ، وان الكل متساوون امام مبادئه القويمة تكاتف معبد الكاهن مع بلاط الحاكم على استئصال المسيحية من الوجود ولا سيما مصر التى لاقت فيها رواجا وهى آنذاك اغنى ايالات العرش الرومانى ومصدر قوته وربحه ومن ثم صدرت الأوامر الملكية باضطهاد الأنصارى .

وقد فرض قياصرة الرومان على المسيحيين عشر معارك ليس فيها شىء من العدالة أو التكافؤ فالحاكم يملك كل وسائل الارهاب الجهنمية من عسكر وسلاح والمحكوم المضطهد لا يملك سوى ايمانه وصبره ! وهكذا

التقى الفريقان فى ميادين مختلفة من الأرض وأقبل المسيحيون فى وجـوه يكللها التقى وتعلوها الابتسامة لا الى جهاد عسكرى ولا الى التماسك ولو بالأيدى ولكن الى الاستسلام والطاعة وهم تواقون الى الموت بصـورة ادهشت جلاديهم .. ! حتى أن أحدهم عندما أحضروا اليه أسدا لافتراسـه وأخذ الوالى يعرض عليه فى اللحظة الأخيرة الأمجاد التى تنتظر جحوده ، أعرض عن سماعه والتفت الى الوحش فرآه هادئا فركله الشهيد بقدمه حتى يثير غريزته الضارية ومن ثم وثب عليه الاسد وصرعه فى لمح البصر !!

وقد طالت هذه المعارك الدينة بين كواسر النسور واسراب الحمام حتى بلغت اشدها فى عهد دقلديانوس قيصر ٢٨٤ — ٣٠٥ م الذى عمل كل ما فى وسعه على استئصال المسيحية وأمر بذبح النصارى لا لشىء سـوى أنهم نصارى !! ومع عظمته وجبروته فقد ذهبت كل جهـوده أدراج الرياح .. واخيرا القى السيف واعتزل الحكم وذهب الى دلماسية يمتطى صهوة الهزيمة ويحتضن الفشل حتى قضى بقية حياته فى قرية من قراها .

والآن يطيب لنا فى هذه المناسبة السعيدة أن نذكر أبناء الفداء انـه ليس فى وسع ملوك العالم اذلالهم مهما كانوا اقوياء لأن المسيح ما زال ينلشد الأب من أجلهم « لست اسأل ان تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير » وأن كنيسة الله الجامعة سوف تتحدى كل قوة تناصبها العداء لأن مؤسسها كتب لها فى صك الغلبة « وابواب الجحيم لن تقوى عليها » وأن طغاة البشرية الذين حاولوا حرق كتاب الله وملاشاته من عالم الوجود ضحك القدوس من سخافة عقولهم عندما فشلت أوهامهم وصـدق قوله تعالى : « ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة » .

وهكذا انكسر الفخ ونحن نجونا لانه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان اعداؤنا القضاة .

نشكر الرب الذى لم يجعلنا طعاما لمحاربينا بل حفظنا وسترنا وأعاننا وأخرجنا من الضيق الى الرحب لنكرز بسنة الرب المقبولة .

النيروز بين الماضي والحاضر

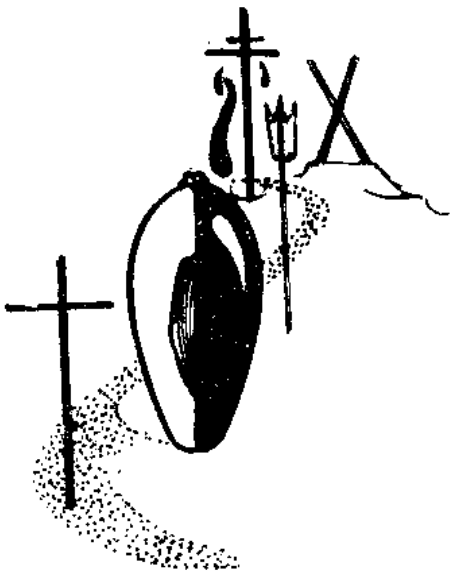

النيروز بين الماضى والحاضر*

اخذت الشمس تغادر خدر الاسد بعد أن ضاق بها العرين . فهرع الليث لوداع الغزالة يسألها الاوبة ولو بعد حين ..

وتقدم الميزان يعرض عليها منزلا بين مدارج البروج تشرق منه على مشارف الأرض وتخصب المروج ووصوصت على الوادى فاذ به فى ثوب قشيب .. اتلام وفاغية وخمائل وطيب نيل عج عجاجه يبشر بالخصب والرخاء .

جلس على ضفافه توت يبتكر القلم ويرسم حروف الهجاء .. لامة زارها الرب قادما فى سحابة .. فوهبها دين الحق وخصها بنعمة الشهادة.

* * *

لقد بدا العام مثل ما انتهى . وسينتهى كما ابتدأ . اذ لكل بداية نهاية ولكل شيء وقت . وها نحن نودع أياما ونستقبل اخرى حتى ينتهى بنا المطاف الى الغاية القصوى .

شمس تشرق . وقمر يغرب ، ونهر يجرى . وعام يأتى . والأرض قائمة الى الأبد . تدق الكواكب على مدارها . وندور نحن حول النهاية . فان لم تدركنا أدركناها وان لم ندركها أدركتنا . فيذهب الكل الى فناء . ويبطل تنازع البقاء .

---

* رسالة المحبة ١٩٤٨ .

لقد اقبل النيروز ونحن مازلنا على انهار بابل . فليس لنا ان نتفادى الذكرى وقد جلسنا تحت ظلال الصفصاف نذكر الامة العريقة التى تبددت . والقومية وكيف تمزقت .

نذكر احبارنا العظماء ورجالنا الاجلاء . الذين منهم التضحية بدأت واليهم انتهت .

نذكر اصواتهم التى دكت أبراج الحصون . وصيحاتهم التى قوضت أركان السجون .

نذكر الوحوش التى طاردت الحمامة الوديعة وحاربتها بمخالب النار . التى تعقبت اليمامة الطاهرة وقاومتها باجنحة الدمار .

نذكر مآسينا والسهام التى فينا . ونردد هدير الحمامة البكماء . على مجد الماضى وتراث القدماء .

يا لها من ذكريات مرة . تمزقت لأجلها احشاء القيثارة . وهلعت لها ذوات الأوتار . فصرنا نتحدث بحزن ومرارة . بعد ان علقنا الاعواد على غصون الأشجار . لقد همت العين وهام القلب . فتمازج الدم بالدمع . فبكينا الأطلال ونعينا الاثار وتطلعت عيوننا الى مرمم الثغرة . ومجدد الحزب القديمة . وبتنا نراقب الفجر كلما اشتد الظلام . وننتظر الصبح عند تفاعل القتام . ونحن نتساءل يا حارس ما من الليل ؟ يا حارس مامن الليل ؟ فيقول اتى صباح وايضا ليل . فياله من ليل الليل . ارخى علينا سدول العناء . فاكسبنا الذل واورثنا الشقاء . ضع يارب حدا لسواده قبل ان تدركنا امواجه فنغرق . ويقضى علينا ملك الاهوال .

* * *

منذ خمس وستين وخمسمائة والف سنة مضت . اعلن دقلديانوس القضاء على المسيحيين فى العالم عامة وفى مصر خاصة . واصدر الطاغوت

أوامره القيصرية الى مرازبه الدول الرومانية . بقتل النصارى ومصادرة أموالهم . فى وقت ترعرعت فيه العداوة العنصرية . وتفاقمت الخصومة المذهبية . فلم تكد هذه المراسيم تستقر فى حقائب البريد . حتى شبت النار وصلصل الحديد . فتجمهر الغوغاء لسلب المنازل وتزاحم الدهماء لحرق الكنائس . تدفعهم طباعهم البربرية . وتسوقهم الغرائز الوحشية . فسالت الدماء . وتناثرت الاشلاء . من قوم فقدوا عدالة الأرض . فدعتهم اليها السماء .

لقد أراد ديوكلتيان أن يجعل من نفسه معولا لهدم المسيحية وتقويضها وأراد به يسوع صائغا ماهرا . يعمل على تنقية الفضة وتصفية الذهب . واعداد الأحجار الكريمة التى يقوم بها صرح المسيحية وترتبط زاويتها . فلقد أبلى المسيحيون بلاء حسنا . وسخروا من النار والحديد . وضربوا لمعذبيهم المثل الأعلى . فى التضحية ونكران الذات . فعانقوا النطع كمن يعانق صديقا . وصافحوا السيف بفرح وابتسام واقبلوا على الموت يحتسون شرابه كمنهل عذب فرنموا عند ارتفاع اللهيب . وحسبوا صلبهم اهانة للصليب . وهللوا وقت زمجرة الوحوش . وتعالى هتافهم فوق صليل السيوف . وهكذا اخلصوا ليسوع الذى احبهم . وتعلقوا به فى أرهب الأوقات وادمسها ظلاما .

لقد تنوعت اساليب التضحية بين الشهداء فظهر بينهم جماعة الفدائيين حيث عرفت هذه التسمية لأول مرة . التى اساء العالم فهمها . واطلقها الآن على اعداء الانسانية . وطغاة التعذيب والتخريب. كانوا ينتحلون شخصيات المحكوم باعدامهم ويحملون اسماءهم . ويذهبون الى السفاح المكلف بعذابهم ويسألون الموت كمن ينشد الكنوز الثمينة . كما كانوا يتنازعون أمام المقصلة وكل يريد ان يضع عنقه قبل الآخر . بروح قوية ادهشت جلاديهم . وجعلتهم يلقون سيوفهم ويعلنون ايمانهم ويشاطرون الشهداء عذابهم .

لا شك أن القياصرة الذين زجوا بأنفسهم فى معركة خاسرة كهذه . ندموا فيما بعد عندما رأوا فى قائمة الضحايا . كثيرين من الرجال النافعين

بينهم القائد والجندى والكاتب والطبيب ، وغيرهم من الفئات المحترمة ، التى لو عملوا على اكتسابها لما تقلص ظل دولتهم وسقط نسرها فى هـــوة الفنـــاء .

كان الاضطهاد عاملا قويا فى تقـــوية الروح المعنـــوية فى الحيـــاة المسيحية . فعلى الرغم من قسوة الاعداء وأساليبهم الارهابية . فقد ظهر المسيحيون كرجل واحد . يتحدى كل قوات الشر . ولا يقيم لها وزنا . فكنت ترى أماكن العبادة مليئة بالمصلين . والســـاجدين للـــه بالروح والحق . يرفعون الصلوات الحارة الصادرة من أعماق القلب المتألم . وقد اشترك معهم البنون والبنات . يضرعون لربهم فى ايمان وثبات . يسألونه الرحمة والمعونة لمواجهة الصعوبات الجمة التى فرضها العدو عليهم .

لقد جمع الأسى بينهم فغمرت المحبة قلوبهم بصورة ما أحوجنا اليهـــا الآن فكنت ترى الشاب يحتضن الشيخ . والقوى يحنو على الضعيف . والغنى يجعل ثروته تحت تصرف المعوزين . فزالت الفوارق ورفعت من بينهم عوامل التنافر . كانوا فى الكنائس يصلون باكين بقلوب منسحقة ونفوس خاشعة . ينظرون الى صورة المصلوب ويستمدون منها قوة خفية . عالمين انه فيما قد تألم مجربا يقدر أن يعين المجربين .

كانت الكنيسة حارة منتعشة لا تعرف الجمود . قوية فى عزمها . شديدة فى بأسها ان طوردت من المدن هربت الى القرى وان تعقبوها فى القرى ركضت الى الجبال وان ترصدوا خطواتها فوق الأرض اختفت بين شقوقها وصرخت اليه من الأعماق وما زالت بيع الدياميس(١) فى رومة . ومغائر الجبال المصرية . والكنائس الأثرية ترسم لك صورة واضحة لقـــوة الكنيسة المضطهدة وروحها المعنوية التى كانت كصخرة منيعة تحطمت عليها كل مقاومة العدو وحيله الماكرة . كما كانت أيضا كسفينة فى مهب الريح ان لم يتوفر لها الربان الماهر غرقت لا محالة . فقيضت لها العناية الالهية كثيرين

---

(١) بيع الدياميس : كنائس كالمغائر فى بطن الأرض بروما .

من رجال البر المشهود لهم الاستنارة وفيض النعمة العميقة فاستطاعوا ان يسيروا بها بين العواصف القاصفة . على وجه البحر المضطرب . حتى وصلوا الى ميناء السلام .

وقد تولى ملاحوها . وقادة الرأى فيها . تهذيب الشعب تهذيبا ذهب به الى أبعد مراحل الكمال . فاحتقر المادة . وزهد فى الدنيا .. وحسب الحياة عزما . والموت غنما . وعندما كان ناقوس الخطر يدق . كنت ترى أولئك القادة على اختلاف مراتبهم . يتقدمون الصفوف . وفى سبيل الشهادة للحق لا يرضون بالموت بديلا . كان الضيق عاملا قويا فى دراسة الكتاب . حيث وجد الناس تعزيتهم الكاملة فأقبلوا عليه يعرفون معانيه . ويكشفون غوامضه . فأدركوا ما أراده سليمان فى نشيده (بلغ أوان القضب صوت اليمامة سمع فى أرضنا) فرأوا القضب فى قتل الأبرياء . وحصد نفوس الشهداء . وسمعوا اليمامة عندما تردد مع صوتها انين المتألمين . وتصاعد هديرها مع بكاء المعذبين . كما كان القضب علامة لشقاء الكنيسة الطويل . هربت فيه صغار الثعالب . وطارد السبل كبار المراوغين . وهكذا استمر المطر وساد الظلام . حتى فاح النهار وانهزمت الظلال . وجاء الربيع يتهادى .

والخصب بين يديه يتمادى . وخيم بظله على البيعة فجدد حياتها . وبعث القوة وشبابها فأخرجت التينة فجها . وازداد ثمال الكروم . حتى ضاق العالم بشهود المسيح وامتلأت الأرض من رائحتهم الذكية .

كان الاضطهاد مدعاة لشحذ أقلام الكتبة المسيحية وقتئذ . فقام جهابذة الفكر بتاليف الكتب الدفاعية . فوضع أوريجانوس ثمان كتب رد بها على كلسوس الفيلسوف الوثنى . احتلت مكان الصدارة بين كل المؤلفات الدينية العالمية . وكتب ترتليانوس رسائل قيمة ضد اليوستيك ومركيو . وفلنتينو . وكتابا ثمينا فى الأيسكولوجية المسيحية . كما صنف يوستنوس الشهيد كتاب المحاماة الكبرى . والدفاع الأصغر . ومحاورة جميلة مع تريفون اليهودى . كما قام فريق آخر بوضع الكتب التفسيرية . فضاقت المكاتب

بمؤلفات ديونسيوس واكليمنضوس وينتينوس ومقار السياسى وديديموس الضرير . وغيرهم من علماء الاسكندرية الذين تولوا ادارة المدرسة اللاهوتية .

خرجت الكنيسة من بودقة الاضطهاد كحقل قد باركه الرب ، تفوح منه كل النفائس ، لم تخرج كرجل قد تهشم فى حرب ضروس ، بل كقائد يتهيأ للقتال ، لم يقرب بعد من ساحة الوغى ، فى وسعها أن تنازل أعداءها **لا مدة** كالتى مضت ، بل حتى قيام الساعة لأن الذى أتبأها بضيق فى العالم ، وعدها بنصر فى الختام ، فالمقاومة لا تؤثر فيها ، وابواب الجحيم لن تقوى عليها .

ولكن لسوء الحظ بعد أن استراحت الكنيسة من أعدائها ، بدأت الآن بتمثيل ما مضى من درامتها المحزنة ، فى داخل أسوارها وبين كرومها ، كما فترت فى كل مرافقها ، واضطربت فى جميع أحوالها ، فما زال دقلديانوس يقوم بدور الطاغية ويتحكم بسلطانه فى رقاب كثيرين من الأبرياء ، الذين ساقهم القضاء اليه ، فاستشهدوا بين يديه ، وها هو الآن يحتل بيننا المكان الذى كان يحتله مولك بين العمونيين ، تطيب نفسه عند تقدمة الضحايا ويضحك عند سحق خيار البرايا ، لا يترنم **سدنته** الا عند وقوع الفريسة ، ولا تضرب دفوفهم الا عند صياح الذبيحة وصارت الكنائس مورد ثروة للبعض ودائرة نفوذ للآخرين ، الأمر الذى أعثر المصلين وأزعجهم فبردت روح العبادة ، وصارت الصلاة كما لقوم عاده ، بل مظهراً من مظاهر الحياة ، تعرض فيها الأزياء ، أو تدهشك مناظر الرياء . فسادت الفوضى وكثر الذين يتقنون المشاجرة يتوارون ، والمشهود لهم بالمشاكسة يختفون ، على القضاء كأنها سلع فى متاجر ، يتناولها الحاكم بزرايه ، ويناقشها بتهكم .

واذا ما اعتدى أحد الخوارج على شعائرنا، وأساء الى قوميتنا، ترى الذين يتفنون المشاجر يتوارون ، والمشهود لهم بالمشاكسة يختفون ، وفى الداخل يحكمون الرماية . ويجيدون أنواع الخصومة ، حتى جعلوا الأمة كظبى فى شباك ، يهدده الموت ويتوعده الهلاك ، كما اقفرت حقول الأفكار ، وأكل القمص نبات العقل والثمار ، وأصبحت الكنيسة فى حاجة الى كتبة بلغاء ، يخرجون من كنوزهم جدداً وعتقا .

نريد كتابا يكتب بدم الفؤاد ، لا بالقلم والمداد ، يعالج أدواءنا الاجتماعية بما يلائم ولا يخشى فى الحق لومة لائم . لا نريد كاتبا من مأجورى الضمائر . الذى ألفوا المهاترات وطاب عيشهم بين المنازعات . فعرضوا للاعراض وساوموا على الأخلاق ، فبارت وريقاتهم . وظهرت الناس سوآتهم .

نريد مؤلفا يكتب ليفيد . ولا يعمل ليبيع . لا يتخذ من خدمة الرب صناعة ولا يعلن عن نفسه بين الجماعة . والا ذهبت أقواله فى الهواء . وخسئت رقاعه الخرقاء .

نريد رجالا أقوياء فى مشورتهم ، تتجلى الحكمة فى آرائهم . يناصرون الحق . ويقضون على الباطل . ليس لهم بر الكتبة . ولا قداسة الفريسيين . بل لهم جدائل الرحمة . وعصائب الحنان . نريد قيادة تقدس الواجب . وتقدم عمل الرب . وتتفانى فى خدمة الآخرين . وتنهض بالبيعة التى كبا جوادها الهزيل . فتخلفت عن موكب الكنائس الحية وركابها الجليل . نريد كاهنا يعمل بمبادىء النعمة . لا بأوامر الناموس .ولاويا تقيا . لا يتغاضى عن فريسة اللصوص . نريد راعيا كالسامرى يسامر نفوس البؤساء . متى سرى اليها السوء وساورها الشقاء .

نريد أطباء أمناء يحسنون الوصف لانساننا الاجتماعى المريض . لا يغشون ولا يخدعون . بل يشخصون للامة الداء . فتتعاون معهم على تركيب الدواء . حتى اذا ما ادعت الحاجة لمن يتولى القيادة . زحفت الكتائب مبتهجة . وعادت الجيوش منتصرة .

اما الذين يعملون على تخدير الأعصاب . ويتركون الجرح يتفاعل . والخطر يتفاقم . والناس لا يدرون من أمره شيئا . فهم دعاة الهزيمة الذين شوهوا محاسن الحقيقة . تبا لهم فقد جمعوا الناس حول طبل أجوف . ورقصوا أمام قصبة مرضوضة . قرعوا عليه فانفجر . وتوكأوا العكاز فانكسر .

والآن وقد طلع علينا اليوم الجديد . وأقبلت سنة الرب المقبولة ، ورأينا أكاليله على الأودية وآثاره تنطق بالبهجة . وجب علينا أن نحمل رسائل الشكر ونذهب الى بيت الرب . وهناك نذكر حسناته ، ونردد جميل آياته . نسأله من أجل البقية ، ليرفع عنها البلية ، وان يتعهد الكرمه بخلاصه . ويقيها شر قصاصه ، كما نضرع اليه . ونحن وقوف بين يديه ، أن يكلا رجال حكومتنا بعنايته ، وان يحفظ لنا حياة قداسة البابا المعظم ورجال كنيسته وأن يتولانا جميعا برعايته ، ويدركنا برأفته ويؤيد أحبارنا ورجالنا ويوفق الغيورين فينا لكل عمل صالح » .

سنة الرب في مصر

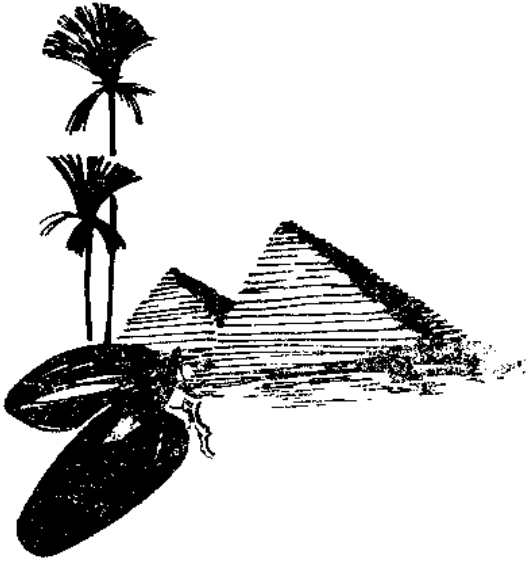

سنة الرب فى مصر*

بين العاديات الشرقية التى تعرض الآن فى متاحف لندن . صورة نفيسة تعرف « بسنة الرب » تمثل عيدا قوميا تظهر فيه كرامة الحياة الدينية عند المصريين قديما على هذه اللوحة يرى الناظر تمثال الالهة ايزيس محمولا على اكتاف الكهنة . وخلفه الأمراء والعظماء يمشون الهوينا فى طرب على نغمات الموسيقى . والناس من حولهم يتطلعون فى رهبة وخشوع الى السيد هوروس الجالس على ركبتيها . بينما سخر البعض من رجل وقف جانبا ليفسح الطريق وقد امسك بمقود حماره الذى يحمل فتاة تحتضن طفلا جميلا كان يشيع موكب الالهة بابتسامة ساخرة .

لم يفكر احد قط فى هذه الأسرة الغريبة التى اقبلت من بلاد بعيدة. لأن مصر التى امتازت بمكانتها الجغرافية وثروتها الاقتصادية وجذبت اليها كثيرين من ذوى الحاجة فصارت رطانة الجوابين وازياؤهم المختلفة أمرا مألوفا . ولئن كانت الكتب الدينية والتواريخ المدنية حدثتنا عن عدد وافر من مشاهير الرجال الذين وفدوا على مصر لظروف متباينة ، كما افادت الأوراق البردية وكشوفات الحفائر الأثرية الا أن احدا من هؤلاء لم يترك له اثرا يذكر بجانب ما تركه الطفل الصغير الذى وقف ركابه منزويا فى ركن من اللوحة الأثرية الخالدة . لم يكن هو هيرودون واضع التاريخ . ولكنه الشخص الذى غير معالم التاريخ وليس هو بقيصر من قياصرة الدماء ولكنه ملك البر الذى تنفر نفسه من رؤية الأشلاء .

كما اننا لا يمكننا أن نضعه بجانب ابراهيم أو غيره من الآباء لأنه الكوكب اللامع الذى خرج بمطلعه البشر وتهلل بيومه الأنبياء .

---

* رسالة المحبة ١٩٤٩ .

هوذا الرب قادم الى مصر اش ١٩ : ١ .

وصل الرب الى مصر كما رسمت مشوره الازل فذاب قلبها وارتجت اوثانها واخذ داجون يتساقط فى الهياكل ويتهشم على اعتاب المعابد لا لأن التابوت قد استقر فى بيت الآلهة ولكن لأن الآلهة مثلت أمام الرب الذى مجده ملء كل الأرض لقد أفردت الاناجيل الثانوية التى أدرجتها الكنيسة تحت كلمة « ابو كريفا » فصولا خاصة لهذه الزيارة المقدسة ، وتحدثت عن عجائب كثيرة لازمت الطفل العجيب فى تنقلاته على ضفاف النيل كما أن بعض التقاليد التى أخذت عن هذه الأسفار الدخيلة بالغت كثيراً فى وصف هذه المعجزات حتى وضعتها فى صور كادت أن تتنافى مع الحقيقة وان كنا لا نشك مطلقا فى أى شىء ينسب الى الزائر الكريم بعد أن شهد البشير بآياته التى لم تسعها الكتب يو ٢١ : ٢٥ الا أنه ليس لدينا ما يبرر صنع المعجزات التى لا ينتفع بها البشر بعد أن رسمت الأسفار القانونية حياة السيد المثالية وما كان يتوخاه بمعجزاته ليميز الانسانية . كانت مصر الوطن الثانى الذى تشرف باقامة الرب فيه بعد فلسطين . فعاش بها مدة الطفولة التى تتراوح بين الاعوام الثلاثة الأولى من حياته واحتفظت لنا التقاليد القديمة التى اخذت عن أوثق المصادر برسم كروكى يوضح سير ركابه المبارك والمقادس التى شرفها بزيارته وجعلها تحتل مكانتها العظمى بين تراث العالم المسيحى ومع هذا فلم يكن نصيبنا من البركات قاصرا على الاطلال القائمة او المخادع الدارسة بل تجاوزها الى صفحات الكتاب الذى يردد على مر الدهور ذلك القول الخالد المأثور « مبارك شعبى مصر » فقد تزول الأماكن وتذهب المعالم اما كلمة الله فهى أمس واليوم والى الأبد وها نحن نشاهد أثر هذه البركة واضحا فى التفسير العجيب الذى أحدثته هذه الزيارة فى بلد كانت منحوتاته تتزعم العبادة الوثنية فجعلت منه كنيسة نظامية فتية أخذت قبل ختام القرن الثانى تسبق الكنائس الأخرى الى مرتبة الزعامة .

لقد أجاد الرسام المصرى فى الوضع الذى أراده لـ « سنة الرب » فرسم الركاب الالهى منزويا فى ركن من الصورة وشغل فراغ اللوحة بموكب الآلهة الكاذبة . فكانت هذه الزاوية الصغيرة بمثابة الشرفة التى يقف فيها الملك ليعرض منها كتائب النصر أو فيالق الأسر . فمنها عرض الرب قوات الوثنية الصاخبة وأشرف على مناظرها الزائفة وهى تسير بخطوات واسعة نحو هوة الفناء . لقد وقف الطفل عن كثب ليرى كيف ينتحر الأسد . لقد زار هوروس وزمجرث ايزيس عدما وصلا الى حافة الهاية . ونهاية المعركة التى خاضها الطفل وانتصر وهو فى المهد صامتا ثم عاد يسوق أمامه جيوش الشر التى خذلها فاذا بها كثيرة العدد والعدد ، واستغرق رحيلها وقتا طويلا فقد بدأت طلائعها من « سنة الرب » وانتهت فلولها بقسطنطين الملك الذى وضع حداً لمساوئها الكثيرة .

فى مرحلة التقهقر هذه كان الدينان يتنازعان البقاء . وان كانت المسيحية لا تقر هذه النظرية الفاسدة ولكن عملت بها فى كفاحها مع الأديان الأخرى . وليس معنى هذا انها أباحت التناحر والتخاصم لتابعيها ضد الخارجين عليها حتى يأخذ الضعيف بمبادىء القوى ، بل هى كعقيدة روحية هبطت من السماء اخذت تعمل بين المذاهب السقيمة والآراء الفاسدة حتى أتت عليها وشغلت فراغها دون أن تلجأ الى الحيل الماكرة أو الوسائل الفاشمة فلم يسمع قط ان رسولا حمل رمحا أو أشهر سيفا وعندما لجأ أحدهم الى استعمال وسائل العنف والقوة زجره السيد بقوله تعالى « رد سيفك الى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف . بالسيف يهلكون » وقد مضى الآن على هذه العبارة ما يقرب من عشرين جيلا ومازال صداها يرن فى أذن الرجل الضعيف فيزيده صبرا وثباتا كما يسمعه طغاة البشرية فيسوم ضمائرهم جلدا وعذابا .

بهذه النعم المتفاضلة والبركات المتكاثرة استطاعت الكنيسة المصرية ان تبرز كنجم لامع فى فلك الوجود وهى تحمل لواء العلوم الدينية والمعارف المدنية فتطلعت اليها أنظار الأمم الأخرى وما فقدته من سيادتها الفرعونية

استطاعت أن ترده مضاعفا فى سلطتها الروحية فصار بطريركها يتصدر رئاسة المجامع المسكونية ويحدد قضايا الايمان الرئيسية وهكذا تركت زيارة الرب أثرا حيا فى كل مرافق الحياة الروحية فامتازت مصر بالأمور الآتية :

صحة العقيدة : ان كلمة أرثوذكس التى لازمت الكنيسة القبطية منذ نشأتها كما أفادت أوثق المصادر المأخوذة عن الكتب الطقسية القديمة لم تطلق عليها جزافا بل لاستقامة تعاليمها التى لم يتسرب اليها الضلال مطلقا فقد حاربت قديما المبادىء الغنوسية والآراء الكفرية ورذلت كل شىء لا يتفق مع الايمان الصحيح . وعندما ظهرت الأرية التى نادى بها أريوس القس الاسكندرى اقبلت عليها الكنائس الشرقية والغربية ما عدا كنيسة الاسكندرية التى اعتصمت بالحق وأخذت تكافح الباطل فى حرب حامية الوطيس اشعل نيرانها بطرس السابع عشر واحمد اوارها تيموثاوس الثانى والعشرون . ومع أن أريوس كاد أن يكون مصريا الا أن تعاليمه لم تلاقى رواجا بين مواطنيه الذين خذلوه وانفضوا من حوله فقبلته كنائس أورشليم وانطاكية والقسطنطينية أما روما فبعد أن وقفت منه موقفا سلبيا ارتد ليباريوس أسقفها وقبل عقيدته الفاسدة ومع أنه ندم أخيرا وعاد الى صوابه آلا أنه عجز عن رفع الأثر الذى تركه عند ارتداده فقد ظل هذا المذهب منتشرا بين الذين أغرهم سقوط البابا فى البلاد الغربية حتى ختام القرن السادس عشر .

•

ولم يكن نصيب النسطره فى البلاد المصرية أوفر حظا من الآرية فقد حاصرها كيرلس بتعاليمه وهاجم ما تسرب منها الى عقول الناس ثم عقد مجمعا مسكونيا فند فيه الضلالة وبعد أن قيدها ببنوده المعروفة رشقها باثنى عشر حرما وهكذا قام ديسقوروس فى وجه أوطاخى الذى قال باختلاط الطبائع ورفض أن يعترف بطومس لاون الذى تظاهر بعدائه لنسطور وكاد أن يعترف برأيه كاملا عندما قال فى كتابه المشهور « وحقا يأتى المسيح أقنان الله والانسان » وعليه فقد وقفت الكنيسة فى وجوه المبتدعين وحافظت على جوهر الايمان القويم فالنيوسيتكية والمانوية والآرية والنسطورية والديونسية لم تجد مجالا فى مصر ولم تقبل عليها الا الدخلاء والذين حملوها من جهات أخرى .

التضحية : مهد السيد فى قلوب تابعيه طريقا للتضحية الكاملة من اجل الحق فاشار الى ما يلحق المؤمنين به من ظلم وغبن واضطهاد وعذاب ، واوضح هذا فى خطابه الوداعى الأخير فقال « تأتى ساعة فيهـا يظن من يقتلكم انه يقدم خدمة لله » يو ١٦ : ٢ . فاعد بهذا قطعيا فدائيا يقرب الموت راضيا مرضيا .

وقد كان القديس استفانوس القربان الأول الذى قدم على مذبح التضحية فنهافت الأعداء على رجمه وهو يشخص الى السماء بنفس هادئة اذ كان يشاهد شيئا بهيا . فكان موته باكورة الضيقة العظيمة التى انتابت الكنيسة فى كل الأرض . ولما اتسعت موجة المظالم ايد الرب شهوده بعجائب كثيرة يعجز عن وصف روعتها القلم . الأمر الذى جعل الآخرين يتنافسون على الشهادة بصورة ازعجت رجال القيصرية . فجاء عن القديس بولس الرسول انه بينما كان يسير نحو ساحة القضاء استأذن من جلاده ليدخل بيتـا فى طريقه لوداع فتاة احسنت اليه كثيرا . فلما تقابلا وتحدثا علمت من سياق حديثه أن وقت انحلاله قد حضر وهو يطوى من سفر حياته أوراق النهاية فبكت كثيرا وطلبت بالحاح أن ترافقه الى مكان الشهادة أما هو فرفض مقدما تشكراته وتركها تغوص فى لجة من الحزن والأسى بعد ان أخذ منها قناعا ليعصب به عينيه عند تنفيذ العقوبة فلما وصل الى المكان المعين جثـا أمام السفاح بجراة نادرة حيث هوى السيف على عنقه فأحاله جثة هامدة وبهذا اتضح أن الموت يضع حدا لاتعاب القديسين ولكن ليس لنشاطهم فقـد قام الرسول وعاد الى الفتاة فى موكب نور بهيج واذ بها فى شبه غيبوبة من شدة الحزن فايقظها وأعادها الى وعيها ثم قدم لها القناع ملوثا بالدماء وبعد أن أعلن لها عن ذاته حقيقة انصرف معرجا الى السماء ، أما هى فنهضت بفرح ووقفت أمام دارها حتى مر الجلاد الذى قام بتنفيذ العقوبة فسألته فى شجاعة نادرة اين بولس يا رجل ؟ فقال انه ملقى فى الساحة حيث تؤخذ الرقاب فقالت له بحدة لقد كذبت يا هذا لأن بولس لم يمت فقد مر على منذ قليل متوجا بالمجد وملتحفا بالبهاء وسلمنى القناع الذى استعاره منى وها هو تشهد بصحته الدماء فتناوله الجلاد وبعد أن فحصه جيدا رده اليها وعاد يهرول فى طريقه وهو يجهر بنصرانيته مطالبا بالشهادة .

فهذه الأخبار الشهية المقدسـة التى وصلت مصر وهى حديثة العهد برسولها العظيم الذى استشهد فى سبيل الرسالة جعلت المؤمنين يرحبون

بالموت ويقبلون عليه كواجب مقدس تستلزمه المسيحية التى أوضحت غوامض الديانة المصرية من بعث وحشر وما تتطلبه الحياة الاخرى من مثل عليا .

وقد كشف التهافت على الشهادة عن كثيرين من رجال الله الافاضل الذين لم يكن العالم مستحقا لهم وها نحن ندخل الكنائس التى تحمل أسماءهم فنرى رسومهم تشف عن الطمأنينة فى الوقت الذى تهلع فيه القلوب . فهذا يطعن تنينا وهو رابط الجأش ، وذاك يقترب الى النار بوجه مبتسم . لانهم كانوا عند وقوع البلاء يشخصون بأبصارهم نحو السماء فيرون الذين سبقوهم متوجين باكاليل المجد وقد جلسوا فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وعندئذ يزداد حنينهم ويأخذ الشوق بمجامع قلوبهم فيقربون الموت بنفوس آمنة مطمئنة .

أما أعلام الشهداء فيعوزنا الوقت أن نتحدث عنهم فهم كالرمل الذى لا يحصى ولكن تلالآت من بينهم أسماء كثيرة نذكر منها القديسين اسحق الدفراوى وتادرس الشطبى وفام الجندى ويوليوس الاقفهصى وهذا الذى امتاز بثروته الواسعة استطاع أن يكون من غلمانه ديوانا للكتابة — سير الشهداء وتسجيل أخبارهم كما كان هو يشرف بنفسه على معالجة الجرحى ويقوم بدفن الذين أكملوا جهادهم . وكما احتفظ التاريخ بأسماء كواكب الشهداء ذكر ايضا نوعا من الأفاعى الزرقاء الذين فتكت أنيابهم برجال الحق الأبرياء ، اشتهر من بينهم والى سمنود وأتريب وفوه فى الوجه البحرى وانصنا فى الوجه القبلى ، وقد ضرب الأخير المثل الأعلى فى الوحشية النادرة المثال فلم يكن عمله قاصرا على الولاية التى ارهقها بمظالمه الفادحة ولكن لطباعه الضارية التى ضرب صيتها الافاق كانت ترسل اليه الضحايا من ولايات اخرى فيعبر فيها بصارم سيفه عن ارادته الشريرة .

هذه كلمة النيروز التقليدية التى اعتدت أن أسوقها لقراء الرسالة رأيت أن اتوجه بها فى هذا العام المبارك الى مصر المحبوبة ذات التاريخ المجيد التى شملها الرب بعطفه وأضفى عليها من عميم فضله فتغرب فيها ابراهيم واسحق ويعقوب واستوطن يوسف والأسباط وولد موسى وهرون ومات ارمياء والنبيون . وأخيرا لجأ اليها طفل السماء المضطهد فدفعت عنه كيد الأردياء وأحبطت مساعى الغاشمين .

هذه مصر التى قدس الرب نيلها وبارك اديمها وشرفها على صفحات الكتاب وخصها بنعم جزيلة تركت آثارها النبيلة .

فى مصر قامت الكنيسة التى تتلمذت لها كل الكنائس فأخذت عنها الأمم عقيدة الحق السليمة وارتوت من مناهلها جميع الشعوب .

فى مصر نبغ أساطين الدين ورجال العلم والأدب يتقدمهم اثناسيوس حامى حمى الايمان القويم وكيرلس منار الدين وديسقوروس بطل الأرثوذكسية العظيم . ناهيك عن ديديموس الذى أتقن الهندسة وهو ضرير وبنتينوس وصول الهند الجليل واوريجانوس امير كتبة الكنسيين .

فى مصر قامت الرهبنة التى احتفظت بتسميتها ، ليست رهبنة التكايا التى استعذبت حياة الكسل وزعمت انها كالسمك الذى ليس فى وسعه أن يعيش خارج البحر لئلا يحرم من الفضلات المتناثرة ولكن رهبنة الكفاح والعمل رهبنة الشخصيات الحية التى رفضت أن تستبدل المواهب النافعة بحراشيف وخياشيم رهبنة الذين اتخذوا من البرية مكانا لترويض النفس واستعدادها كما فعل المعمدان ثم نزلوا العالم بهمة لا تعرف الكلل فعبروا المحيطات ووصلوا الى سواحل الغال وتوغلوا فى ايرلندا وتركوا آثارهم فى انجلترا ولم تعقهم الصحراء الشاسعة والجبال العالية فوصلوا منابع النيل جنوبا، والحبشة شرقا وما وراء القيروان غربا .

فى مصر قامت أكبر مذبحة استشهادية من اجل الحق فاستطاعت ان تدفع الكنيسة من بينها بأوفر عدد للسماء . وها هم الآن يزينون مواطن المجد والبهاء .

هذه مصر بالأمس ويسوعنا أن نعدد اليوم مآسيها .. فقد تراجعت الى الوراء وتركت مكان الأولوية شاغراً وصارت سوقا رائجا لتجارة المذاهب الغريبة فتمزقت البقعة الباقية من بنيها فصار من بينهم الخلكيدونى والمشيخى

والاصلاحى والأسقفى والمثالى والمعمدانى والسبتى والبلموسى والخمسينى والبهائى وليس فى وسعنا ان نعلل هذه الفوادح الا بسبب واحد يتلخص فى قول الشاعر الحكيم :

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

فاللهم نسالك من أجل هذه البيعة التى قامت فى ربوع هذا الوطن الذى تشرفت أرجاؤه بعبور وموكب جلالك أن تنعم عليها بيقظة تنهض فيها من كبوتها وتنطلق من قيود غفلتها وتعود الى وعيها وتسترد مكانتها . وليكن هذا مجابا ومقبولا بشفاعة شهدائك الأطهار ورجال حقك الأبرار ، الذين نسالك بهم أن تكفنا من البلاء شر ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به تعلم، حتى اذا ما توافرت لدينا عوامل الحفظ والعناية استطعنا أن نستقبل عاما جديدا يلازمه البشر ويشمله السرور ونرنم به قائلين: باركت السنة بجودك وآثارك تقطر دسما .

دقلدیانوس

دقلديانـــوس*

روت بعض المصادر التاريخية التى تخلفت عن نكبات الدهر بين زوايا المكاتب القبطية تاريخا عجيبا للقيصر دقلديانوس الذى أزعج العالم بمساوئه الكثيرة وجعل من نفسه عملاقا مخيفا تضاءلت عند أقدامه أقزام الطواغيت وخلاصة ما جاء فى سيرته الغريبة أنه كان مصريا يعمل منذ حداثته فى بطانة الأنبا بسادة أسقف مدينة أخميم الذى اشتهر بين مواطنيه بعلمه وفضله فأخذ عنه النصرانية لما رآه فيه من القدوة الحسنة وظل فى خدمته حتى جاء دور اقتراعه فتجند للدفاع عن مرافعة الامبراطورية التى تعد بلاده الجزء الأعظم منها وهناك أظهر ذكاء حادا أخذ يتدرج به فى المناصب العسكرية حتى صار من كبار قواد القيصرية فأعجبت به ابنة العاهل نوميريان وتزوجت منه ثم اورثته عرش أبيها الذى خفقت أعلامه يومئذ على أشهر بلاد العسالم تقلد الفتى المصرى مهام الحكم وأخذ يقرب اليه رجال الدين والدولة دون أن يميز أحدهم عن الآخر ومع أنه كا نكثير العطف على المسيحيين كما شهد أوسابيوس الا ان تصرفه كرجل حازم جعله يحترم الناس على السواء فتآلفتمن حوله القـــلوب .

وحدث فى أوائل ملكه أن حكومة فارس جردت حملة قوية بقيادة ولى عهد مملكتها أرادت بها اذلال الرومان واسقاط النسر من شاهق علوه فغضب دقلديانوس وخرج للقاء الأعداء وهو ينفث تهددا وقتلا حتى لقيهم فى معركة عنيفة انتهت بأسر القائد واندحار جيوش كسرى التى بعد أن سقط زهـــرة شبابها ولت مدبرة وخلفها الكثير من الأسرى فأخذ يتعقب فلولها وهو يدفـــع بها نحو الغوائل الى أن تم النصر وعاد مبتهجا بفوز رجاله البواسل فخرج وجوه القوم لاستقباله يتقدمهم اسقف المدينة الذى كان يتمتع لديه بحظوة

---

* رسالة المحبة ١٩٥٠ .

كبرى وهناك بين عزف الموسيقى وقرع الطبول وصل القيصر فى موكب مهول فتقدم الناس لتهنئته واعلنت افراح النصر فى جميع البلاد .

ولكن لم يكد القيصر يستنشق نسيم الراحة حتى اندلعت نيران الفتنة فى شمال اوربا فبادر لاخمادها قبل أن يتطاير الشرر منها الى جهات أخرى وقبل أن يغادر مقر اقامته أخذ ولى عهد فارس الذى كان يتولى قيادة الحملة الفاشلة وأودعه عند اسقف المدينة الذى كان يرى فيه شخصية الأنبا بسادة مرشده الأول واوصاه أن يعامله لا كأسير فى بلاد غريبة بل كملك يعيش فى بلاطه بين الخدم والحشم فأذعن الأسقف للوصية بعد ان شكر للحاكم ثقته القوية .

علمت حكومة فارس بثورات الامبراطورية واضطراب داخليتها وتغيب القيصر عن مقر ملكه فأرسلت جواسيسها يتغلغلون فى اعماق البلاد ويستدرجون بسطاء العباد حتى ظفروا بمعلومات خطيرة أرشدتهم الى مكان ولى العهد واسم الأسقف الذى يشرف عليه مع هيئة الحراسة . فذهبوا الى المدينة التى انتهت اليها تحرياتهم الدقيقة واخذوا يواصلون الصلاة بكنيسة الأسقف حتى عرفوا خصوصيات الدار والمترددين عليها ثم تحينوا الوقت الملائم واستأذنوه فى زيارة خاصة فلما مثلوا بين يديه كشفوا له حقيقة أمرهم وسألوه أن يحتفظ بسرهم وهناك فى جو يكتنفه الحرص ويسوده التكتم بدأوا يفاوضونه بشأن اطلاق أميرهم الأسير واخيرا قبل الأسقف اجابة طلبهم بعد أن خلبته عروضهم السخية التى بموجبها سهل لهم طريق العودة قبل أن يعرف أحد أمرهم ولكن لم تمض بضع أسابيع على وصول الأمير الى دياره حتى وصلت البلاد أنباء خطيرة عن قدوم جيوش فارسية كثيرة بقيادة القائد الأول الذى أراد ان يثأر لنفسه ويغسل شرف دولته الذى تلوث .

سمع دقلديانوس بهذا الهجوم المفاجىء وكان فى طريقه الى مقر ملكه بعد أن فرغ من اخماد ثورة الشمال فاستشاط غضبا وتوجه برجاله نحو حدود المشارق وهناك قابل جحافل الأعداء فاصطدم بهم فى معركة فاصلة لم يكن نصيب الفرس منها غير الفشل المضنى والهزيمة النكراء ولكن القيصر

أصيب بصدمة نفسية عند استعراضه لكتائب الأسرى كادت تقضى على مباهج النصر وآماله الأخرى اذ راى ولى العهد الذى تركه عند الأسقف الكنود يمثل امامه مكبلا بالاغلال والقيود فكظم غيظه واخفى معالم دهشته وانفرد بالأمير حتى عرف منه خفايا الأمر ولما فرغ من استجوابه اخذه معه فى ركابه وعاد قافلا الى مقر ملكه حيث أودعه فى مكان آمن تحت الحراسة ثم ذهب فى اليوم التالى لزيارة الأسقف الذى بعد أن تحدث معه مليا سأله عن صحة الأمير الأسير فقال الأسقف باكيا لقد مرض ولى العهد واشتدت عليه وطأة الداء ولم نستطع تخفيفه بكافة أنواع الدوآء ومات فقمت بتجهيزه ودفنه وتعال معى لأريك قبره فتظاهر القيصر بالدهشة وقال كيف حدث هذا دون أن نعلم وكيف لا تخطر بلاده فترسل حكومته من يقوم بأخذ جثمانه أو من يشهد دفنه عملا بتقاليد الأمم الراقية فأصر الأسقف على قوله واخذ يوجب القصة والقيصر يسلبها حتى انتهيا على أن يقسم الأسقف فى صلاة القداس مؤكدا صحة الرواية .

خرج القيصر من دار الأسقفية وبات ليله مضطربا وقد مثلت أمامه هذه العبارة أيقدم الأسقف على قسم كهذا أم يتراجع عن اهانة أسم الله تعالى .

وفى الصباح توجه مبكرا الى الكنيسة وبدات الصلاة وأخذ الحبر المنافق يرتل القداس بألحانه الشجية وكأنه يقوم برواية تمثيلية وعند حلول الروح القدس واستحالة العناصر وقف رئيس الكهنة بين حرمة المكان ورهبة السرائر وأقسم بموت الأمير ودفنه عند ما كان القيصر منشغلا باخماد ثورة الشمال وأما العاهل فوقف حائرا مذهلا يشخص بعينيه الى قباب الهيكل متوقعا عقوبة السماء واذ لم ير شيئا مما كان ينتظر احضر الأمير الفارس وواجه به الأسقف وجعله يروى أمام الناس كيفية اطلاقه ولما فرغ الأسير من حديثه أمر دقلديانوس بالقاء القبض على رئيس الكهنة المضل وتفتيش داره فوجدوا مقدارا كبيرا من العملة الذهبية مصكوكا باللغة الفارسية فأمر الملك بصهرها ثم مغروا فم الأسقف وسكبوا فيه كأس الموت الذى اراده . ومن ثم أصدر دقلديانوس اوآمره الى عمال الدولة بقتل النصارى ومصادرة أموالهم وحرق الكتب وهدم الكنائس فساء الحال وعمت الفوضى وجرت أنهار الدماء ولحق معه نصيبها الأوفر من البلايا فكان تاريخ الشهداء الذى

ما زال يذكرنا من عام لآخر بجهاد أبطالنا الأقوياء وها نحن نخرج من هـذه الرواية بقضيتين هامتين نعالجها فيما يلى :

القيصر أمام العثرة .. لقد تربى دقلديانوس تحت أقدام الأسـقف بسادة فراى الفتى فى شخصه صورة بهية للديانة المسيحية التى كان القديس يعبر عنها بسيرته الجميلة فأقبل على اعتناقها برغبة صادقة ومن أعمـاق قلبه كان يحترم تابعيها الذين جمعوا بين الحكمة والبساطة ولكن لم يتعمق الشاب فى المعرفة الحقيقية ولم يدرك مبادىء الرحمة فى شريعة النعمـة والكمـال .

لقد سمع من معلمه الأول ان حنانيا وسفيره عندما اختلسا وكذبا عوقبا وقتلا وأن بار يشوع الذى حاول افسـاد الايمان لعنه الرسـول فصـار فى الظهيرة يتلمس الجدران فرسخ فى ذهنه لو ان الأسقف اقسـم كذبا لابتلعته الأرض أو صعقته السماء .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث قط لأنه تعالى طويل الروح بطىء الغضب وبلطف وطول اناة يقتاد الفاجر الى التوبة ولكن القيصر الساذج تراجع الى الوراء وقال فى نفسه لو كان المسيح الها حقا لما سكت عن هذا الفاجر الذى ازدرى بشرف الخدمة واهان كرامة الأمجاد ومن ثم اخذ يصب جامات الغضب على المسيحية وتابعيها لأنه اراد ان يضع المسيح داخل الدائرة التى يقف فيها مارس اله الحرب ويجعل منه منتقما جبارا يأخذ السن بالسن والعين بالعين ولم يعلم أن يسوع هذا هو الروح الوديع الذى ركز فلسفة مبادئه فى قوله الخالد المأثور من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر .

لقد غضب دقلديانوس على الأسقف عند سقطته وبطش به قبل ان يتمكن من التوبة أما يسوع فبكى على شعب المدينة التى فقدت المعرفة ولم تدرك يوم الخلاص وهو يسعى دائما خلف الذين ضلوا مناهج الكمال فيربض لهم عند البئر ويقتنصهم وقت الظهيرة ومتى ظفر بهم يضمهم برفق الى صدره

المتسع ثم يهمس فى آذانهم قائلا « ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار مت ١٨ : ١٤ لأنه تعالى ما جاء ليدعو ابرارا بل خطاة الى التوبة ولم يرسل لراحة الأصحاء بل لعلاج أدواء البشر وتخفيف ويلات المعذبين فهو الوحيد الذى جعل من نفسه ينبوعا لارواء العطاش ومن بين يديه يخرج خبز الحياة وقد ندرك صميم الفشل عندما نعتقد أن أحدا غيره فى وسعه أن يضمد جراح الناس ويحتمل ضعف الضعفاء .

لقد مات دقلديانوس مرتدا وهلك الأسقف بمماته وخسرت الكنيسة كليهما عندما تقابلا فى مكان واحد ولكن خلف هذين الرجلين اللذين ذهبا فى مشاجرة غبية وقفت ملايين الأنفس المستنيرة التى بعد أن ذاقت مواهب السماء رفضت أن تتراجع الى الوراء وهكذا حمل العدو رسالة الكنيسة ونشرها بحماسة قوية عندما وقف يوسع أطناب الخيمة بسيفه وبمعول الخراب الذى أراده أخذ يفسح الطريق للداخلين اليها فعند بريق حسامه كانت تتلألأ نفوس المؤمنين بسناء البرارة ووقت اشتداد رجزه ابتهجت أرواح رفاق الحق مطمئنة وكأن المضطهد كان متمما لقصد الرب وناشرا لدينه لأن الذين دفع بهم الى أحضان الراحة ووصلوا السماء فى زوارق الدماء لم ينفرد بهداية مثلهم أى رسول ما ، ناهيك عن جبابرة الجلادين الذى تأثروا بجراة الشهداء وتضحيتهم فألقوا بسيوفهم وأعلنوا ايمانهم مطالبين بشرف الشهادة فلم يسع الكنيسة الا ان تردد قول النبى القائل (وبنو الذين قهروك يسيرون اليك خاضعين وكل الذين اهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس اسرائيل اش ٦٠ : ١٤) والآن نستطيع أن نجزم بأن مرحلة الضيق كانت من ابهج أيام الكنيسة وأكثرها بركة وانتعاشا ففيها انتشر الانجيل الى اقصى جهات الأرض وصارت حبة الخردل شجرة عظيمة تأوى اليها طيور السماء يسمع الناس تحت ظلالها صوت اليمامة الباكية التى عبث بفراخها الكرامون الأردياء وعندما هدر حمام الأوطئة بكت البيعة لغربتها وطالبت عريسها بسرعة الاختطاف . نعم لقد كانت الكنيسة عند محنتها فى ربيع دائم ولكن ليس الربيع الذى فيه تظهر القردة وتختال الطواويس ولكن الربيع الذى تعمل فيه النفس كالنحلة بين الأزهار وتغرد مع الملائكة عند الأسحار وليس العمل النافل والتغريد الذى

لا يتجاوز حدود الشقشقة ولكن العمل الذى يتبعه الجهاد الى الدم والتغريد الصادر من أعماق القلب المعترف باحسان الله .

اثر الأسقف فى الكنيسة . . يعتبر يوحنا النيقوس المؤرخ القبطى الذى عاصر دخول الاسلام المصدر الأول لهذه الرواية العجيبة وهى وان كانت تتنافى مع المصادر الحديثة الا أن شهرة المؤلف وصدق أخباره اضفت على هذا الحادث ثوبا من الروعة حتى ان اميلينو المؤرخ الفرنسى أخذ به ولم يحاول دحضه عندما رآه يكاد أن يكون قريبا من الواقع والحقيقة والذى وصل الينا من رواية الكاتب المؤرخ أن بطل القصة هو اغابيوس أسقف انطاكية الذى أوقعه حظه العاثر ليفسر لنا بصورة بشعة نص الانجيل القائل (ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فخير له ان يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر) (مت ١٨ : ٦) ولو كانت كل نفس صغيرة تحاول احداث العثرة تقدم على التخلص من الحياة بهذه الميتة الارادية لاستطاع العالم أن يتفادى النتائج المرة التى تخلفت عن التفسير العملى الذى أزعج الكنيسة وأحاطها بسياج من الرماح والدماء ولكن مما يؤسف له أن العقاب لا يقع غالبا الا بعد حدوث العثرة التى ليست فى وسع احجار الجبال مجتمعة أن تكفر عنها كما أن مياه البحر تهيج مضطربة لو غاص المعثر فى أعماقها لأن الوزر الذى يحمله تموج من هوله الأرض ويكفهر وجه السماء .

لقد تربى دقلديانوس عند الأسقف المصرى فأخذ عنه المثل العليا التى استطاع بموجبها أن يتبوأ أسمى مناصب الدولة وهو غريب عن جنسيتها فكان حاكما ناجحا عرف برجاحة العقل وحدة الذكاء فشيد المدن العظمى مثل كبادوكية وميلانو وقرطاجنة ووضع كثيرا من الشرائع الأدبية والمبادىء العسكرية التى دلت على مقدرته فى فنون الحرب والسياسة ولكن هذا البناء الشاهق انهارت قواعده أمام الصدمة العنيفة التى صوبها نحوه الأسقف الدخيل فبدأ العاهل يتراجع الى الوراء لأنه لم يكن متعمقا فى دينه وانهزمت نفسه بين جحافل الشر فعاث فى الأرض فسادا حتى مات يتمرغ فى حمأة الدماء ولما رأى أن الرمح قد فشل وارتد السيف عن هزيمة الأبرياء عافت نفسه سياسة القوة وأراد أن يعمل على حقن الدماء فاعتزل الحكم وذهب الى دلماسيا وهناك فى قرية صغيرة أخذ ينشد وسائل الراحة التى

لم تتوفر له وهو فى أريكة الملك عندما كان ينبعث من بين يديه بريق الصولجان ولكن لم يستطع التخلص من وخزات ضميره فضاقت به الدنيا وساوره اليأس من كل جانب وظل فى حزن ووجيمة حتى اخترمته المنية وهو فى الثامنة والستين من عمره بعد ان فقد البصر ونحن اذ نتصفح خبرا كهذا نرى مقدار الخطر الذى تستهدف له الأخلاق الجيدة من المعاشرات الرديئة وكيف بدات حياة العاهل برجل صالح وانتهت بآخر ترك فى نفسه اسوأ الأثر لقد كان الأول راعيا صالحا له مقدرة على تهذيب النفوس وترويض الضوارى فاستطاع ان يجمع فى حظيرته بين الحمل الوديع والذئب الشرس وأن يغير طباع الأسد المفترس فيجعله كالعجل ياكل تبنا اما الآخر فكان أجيرا لا يبالى بالخراف ليس له الا ان يتقاضى الأجر ويجمع الذهب ومتى رأى الذئب مقبلا يولى هاربا بنفسه ويتركه يذبح ويأكل اننا لن نقدر ان نطهر العالم من الشر مرة واحدة ولكن لنا ان ننتقى الرعاة الأمناء ونصنع منهم ملجأ جيدا يصلح انواع الأطعمة ويمنع عنها تسرب الفساد ولنا أن نختار الراعى الذى يكون سراجا على منارة يضىء للجالسين فى ظلال الموت ويعكس انواره على المتسكعين فى دياجير القتام فيلبسهم اسلحة النور ويمزق عنهم اردية الظلام .

اننا لا نريد الآن ان نبحث فى حقيقة هذه القصة ولكن الذى نقوله ان جريمة الأسقف لم تكن وليدة الساعة بل كانت ثمرة سيئة لحياة نفاقه التى كان يحياها هذا الرجل المرائى الذى برهن على ضعفه الروحى وجعل من نفسه داعيا فى فعاله صورة التقوى وهو ينكر بسيرته القبيحة جمال قوتها ونحن اذ نلمس الآثار المريرة التى تخلفت*عن هذه الجريمة ندرك مقدار المسئولية التى يتحملها الأسقف الذى يضع يده بالعجلة ويبادر برسامة الذين يتطفلون على موائد الخدمة طمعا فى الحصول على أشياء حقيرة لا تتناسب مع كرامة الدعوة كما يجب على الرعية التى تقوم بتزكية الراعى ان تدرس عن كثب حقيقة الشخص العتيد أن يتقلد رعايتها والا أوقعت نفسها تحت نير المظالم مع شديد العقاب فالذين يراوغون فى الحق ويقلبون الأوضاع ويمالئون وينمنمون ويداهنون والذين دفنوا مواهب الروح وتسلحوا بمطالب الجسد والذين قفزوا من الحضيض الى ذروة المناصب ولم يكن لهم من المؤهلات سوى قلوبهم الغاشة والسنتهم الثالية وضمائرهم المعوجة .

هؤلاء وغيرهم لا يمكن الانتفاع بشخصياتهم الضعيفة لأنهم يداومون صلب السيد بتصرفاتهم وينكرونه بنفاقهم ويشوهون محاسن الدين بذميم فعالهم .

هذا وان كان النيروز يذكرنا بمظالم دقلديانوس وعثرة الأسقف فهو ايضا يهمس فى آذاننا بأن دماء الشهداء ما زالت تتلألأ بحمرتها القانية ومن بين عجيج امواجها تنبعث اصوات الرحمة والشفاعة فلتذكر الكنيسة اليوم أن لها جيوشا قوية فى السماء تشد أزر البقية القليلة التى ما زالت تعمل بأمانة بين الأحياء فعلينا أن نحاضر بالصبر ولو كنا متألمين ولنا ملء الثقة أن نبكى اليوم ونفرح غدا عند ظهور الديان العادل فهو قريب المجىء وأيامه لا تطـــول .

والى انصنا

والى أنصنـــا*

فى مصر العليا تجاه مدينة ملوى توجد قرية صغيرة على مقربة من الجبل الغربى تعرف بالشيخ عباده دعاها الرومانيسون قديما Antinoe واتخذوا منها قصبة لولاية نالت شهرة وفيرة فى حكومة الاحتلال وقد ظلت انتينو هذه التى سماها ابو البركات (انصنا) تدين بالوثنيـــة حتى غمرت مصر أنوار المسيحية فكانت فى طليعة المدن التى أقبلت نحو معرفة المسيح ومن ثم جعلتها الكنيسة مركزا اسقفيا عمل رعاته على نشر الحق فى جهات كثـــيرة .

احدث تقدم المسيحية انزعاجا فى الحكومة الرومانية ترتب عليه اضطهادها بصرامة وقسوة فكتب الملوك لعمالهم أن يستأصلوا النصارى أو يجحدوا حتى لايكون وجودهم سببا فى هزيمة البلاد فلما وصلت الرسائل اخذ الولاة يلقـــون القبض عليهم ويحاكمونهم بتهم مختلفة . فكان المرتدون ينالون عطف الدولة وينعمون بامتيازات رفيعة . اما الـــذين احتفظوا بمبادئهم فقضوا عليهـــم بالعذاب والموت فى صور مريعـــة فكنت ترى النار المتأججـــة والوحوش الضارية والهوام القاتلة تقوم بنصيبها عند أنفلال السيوف وتراجع السهام ناهيك عن الوحشية التى تجلت فى ذبح الأطفال وتعذيب النساء حتى تفاقم الشر وجرت الدماء .

أمـــام هـــذه المخازى الوضـــيعة جلس القيـــاصرة الذين فقـــدوا المروءة والشرف فى شرفات قصورهم يراقبون سير المعارك التى اضرموها ضد فئات صغيرة واذ بها تنجلى عن فشل الحكومة وفوز النصارى الذين رأوا فى الموت حياة وصاغوا من الضعف قوة وجعلوا التجرد من حطام الدنيا ثروة عظمى . لهذا رأى بعض عقلاء القياصرة ان يتراجعوا ولو قليلا

---

* رسالة المحبة سنة ١٩٥١

عن اضطهاد أعدائهم ولـــكنهم أخذوا يسيئون اليهم بحرمانهم من الحقوق الاجتماعية وارهاقهم بطرق تشف عن الجور والتعسف واستمر الحال بين عنف ولطف حتى جلس على عرش القيصرية دقلديانوس الذى كان مسيحيا وارتد على اثر حادث جرى له مع أسقف أعثره بتصرفاته الذميمة كما روت بعض المصادر .فهذا القيصر الذى كان سقوطه شنيعا صم أذنيه عن نداء ضميره وخلع عنه أبسط المبادىء التى توجبها الانسانية وأصدر أوامره بهدم الكنائس وذبح الكهنة وقتل اتباعهم أينما كانوا فكانت مأساة مـــريرة أتاها الرجل الذى عاد الى قيئه بحمق وطياشة .

ولما كانت مصر وقتئذ تتزعم العالم المسيحى فقد بعث التنين اليهـــا بمجموعة من سفاحى الطغاة الذين عرفوا بقسوتهم الحيوانية يحمـــلون السياط والعقارب وعهد اليهم بمناصب الولاية والذى يعنينا من بينهم هـــو ادريانوس والى انصنا التى تقوم الآن على اطلالها قرية الشيخ عبادة . فقد تقلد هذا الطاغية منصبه فى العام الثامن من حكم جبار القياصرة واظهر مقدرة فائقةفىقتل الناس وتمزيق اشلاءهم فلما وصلت أخباره بلاط السفاح الأكبر خلع عليه وجعله الأول بين سافكى الدماء فازداد بتشـــجيع القيصر شراسة وقبحا فكانوا يستدعونه من مقر الولاية أو يرسلون اليه الضحايا التى فشلوا فى تعذيبها أو تراجعوا عن قتلها لعلل مختلفة ولكى تعرف شيئا عن وحشية هذا الجزار نذكر لك بعض الذين جىء بهم اليه فأوردهم الموت والبـــلى .

أفاد كتاب السنكسار الاسكندرى فى قراءته اليوميـــة ان دقلديانوس ارسل من انطاكية الى ادريانوس القديس اقلاديوس ابن أخى الملك نوماريوس ويسطس زوج القديسة ثاوكليا وبقطر بن رومانوس ومكاريوس الوزير ثم أبادير وارينى أخته فبطش بهم معا .

وفى مصر عجز الولاة عن قتل بعض كبار الأتقياء فاســـتعانوا به كاخصائى فى ذبح البشر فأرسل اليه والىالفرما القديس اباهورالسرياقوسى وبعث والى أتريب بالقديس بشاى الدمياطى مع يحنس السنهوتى واستعان به والى الاسكندرية على القديس توما الشندلانى وجاورجيوس الاسكندرى كما ذبح سوسينوس البلكيمى وقتل ابسخيرون القلينى بالقرب من مدينـــة اسيوط ولميكتف ادريانوس بقتلالذين فى حدودالولايةوالذينكانوا يرسلون

من اضطهاد اعدائهم ولكنهم اخذوا يسيئون اليهم بحرمانهم من الحقوق الاجتماعية وارهاقهم بطرق تشف عن الجور والتعسف واستمر الحال بين عنف ولطف حتى جلس على عرش القيصرية دقلديانوس الذى كان مسيحيا وارتد على اثر حادث جرى له مع اسقف اعثره بتصرفاته الذميمة كما روت بعض المصادر .فهذا القيصر الذى كان سقوطه شنيعا صم اذنه عن نداء ضميره وخلع عنه ابسط المبادىء التى توجبها الانسانية واصدر اوامره بهدم الكنائس وذبح الكهنة وقتل اتباعهم اينما كانوا فكانت مأساة مريرة اتاها الرجل الذى عاد الى قيئه بحمق وطياشة .

ولما كانت مصر وقتئذ تتزعم العالم المسيحى فقد بعث التنين اليها بمجموعة من سفاحى الطغاة الذين عرفوا بقسوتهم الحيوانية يحملون السياط والعقارب وعهد اليهم بمناصب الولاية والذى يعنينا من بينهم هو ادريانوس والى انصنا التى تقوم الآن على اطلالها قرية الشيخ عبادة . فقد تقلد هذا الطاغية منصبه فى العام الثامن من حكم جبار القياصرة واظهر مقدرة فائقةفىقتل الناس وتمزيق اشلاءهم فلما وصلت اخباره بلاط السفاح الاكبر خلع عليه وجعله الاول بين سافكى الدماء فازداد بتشجيع القيصر شراسة وقبحا فكانوا يستدعونه من مقر الولاية أو يرسلون اليه الضحايا التى فشلوا فى تعذيبها أو تراجعوا عن قتلها لعلل مختلفة ولكى تعرف شيئا عن وحشية هذا الجزار نذكر لك بعض الذين جىء بهم اليه فاوردهم الموت والبلى .

افاد كتاب السنكسار الاسكندرى فى قراءته اليومية ان دقلديانوس ارسل من انطاكية الى ادريانوس القديس اقلاديوس ابن أخى الملك نوماريوس وبسطس زوج القديسة ثاوكليا وبقطر بن رومانوس ومكاريوس الوزير ثم ابادير وارينى اخته فبطش بهم معا .

وفى مصر عجز الولاة عن قتل بعض كبار الاتقياء فاستعانوا به كاخصائى فى ذبح البشر فارسل اليه والىالفرما القديس اباهورالسرياقوسى وبعث والى اتريب بالقديس بشاى الدمياطى مع يحنس السنهوتى واستعان به والى الاسكندرية على القديس توما الشندلاتى وجاورجيوس الاسكندرى كما ذبح سوسينوس البلكيمى وقتل ابسخيرون القلينى بالقرب من مدينة اسيوط ولميكتف ادريانوس بقتلالذين فى حدودالولايةوالذينكانوا يرسلون

اليه من جهات بعيدة بل كان يقوم برحلات تفتيشية لذبح شهود الحق الأبناء فأحرق القس أوتيموس حيا فى مدينة فوه وأمات فى دندره القديس ببنوده مع كيرلس وزوجته كما قتل من رؤساء الكهنة أمونيوس أسقف اســـنا وغلينكوس أسقف أوسيم وصرابمون أسقف نيقوس .

هذه بعض فظائع أدريانوس مجرم الانسانية الذى جعل الأرض ملحمة بين كباش تتناطح حتى ظن البعض أن المسيحية غربت عن الأرض وترك الرب قطيعه الصغير ولكن الله لم يحرم كرمته اليانعة من مراحمه الواسعة بل اعد السفاح لخدمة مجيدة تتضاءل أمام مزاياها الوافرة كبائر الذنوب فبعد أن قدم الجلاد آلاف الضحايا من مخالفيه ترضية للآلهة الكاذبة يعود الآن عن ثقة قوية ويقدم نفسه العزيزة ذبيحة للمسيح انها ذبيحة رائعة ذبيحـة الرجل الذى ابتسمت له الملائكة عندما جاء يطلب الشـــهادة وثيابه ملوثة بالدماء وحقا انها ذبيحة المعجزات التى ابتهجت لها الأرض وفرحت السماء

السفاح يستشهد : كان ادريانوس رجلا غليظ القلب يجد لذته فى ذبح الضحايا وتسليته فى قتل البرايا دون أن يرق لشيخ أو يشفق على صبى ولكن بسالة الشهداء وخوارق فعالهم جعلته يقف من نفسه موقفا لا يبعث على الهدوء .

فكان يقاوم هذه الوساوس بمضاعفة أعمال الشر حتى تتغلب نفســه على الوهم الذى كاد أن يعصف بها فى منتصف الطريق غير انه لم ينتفـع بشىء من تدابيره الأثيمة لأن اشباح النفوس البريئة كانت تقض مضجعه من وقت لآخر فراى أن يطاردها بالطرب والغناء فأتى برجلين مسيحيين همـا فليمون وابلانيوس وجعل الأول مغنيا والآخر مزمرا وأمرهما أن يشنفا أذنيه كلما وجداه فى كآبة فهذان اذ رأيا ضيق الكنيسة عزما أن يستشهدا فتنكر فليمون فى غير زيه ودخل على الوالى معترفا بالمسيح فأمر بقتله وهو يجهل شخصيته وبعد قليل دخل ابلانيوس وفى يده المزمار فغطن الوالى لحيلتهما واستشاط غضبا وأمر بنشبه أيضا فارتد السهم الى خلف وأصاب عين الوالى فأخذ يصرخ من شدة الألم وعندئذ تقدم اليه رجل كان يريد الشهادة وقال له لو وضعت من دماء هذين الشهيدين على عينيك لعادت اليك صحيحة

ففعل الوالى واذ به ينال الشفاء فأخذ منه العجب كل مأخذ ومن ثم خلع عنه رداء الولاية وحطم أوثانه ولزم التوبة والندم وبدأ بدموع يعلن ايمانه بألوهية المسيح فلما سمع دقلديانوس شك فى صحة الخبر واذ تحقق جيدا أرسل يدعو عامله فجاء ومثل بين يديه واذ به يرى من السفاح رجلا خاشعا متدثرا بالورع والتقى فحزن القيصر لارتداده وأخذ يناقشه فى عقيدته الجديدة فبدأ الرجل يشرح له جمال المسيحية ويحدثه عن روعة الأكاليل التى رآها وهى تتوج هامات الشهداء عند احتضارهم فكان الملك يقاطعه ساخطا وينذره مهددا ان لم يرجع لعقيدته الأولى ولما فشلت المساعى أمر بقتله وخرج الى البيت واجما وهو يشعر بخسارة كبرى أما ادريانوس فقابل الحكم بفرح شديد وحسب نفسه غير مستحق لميتة شريفة سبق وطوق بها أعناق كثيرين وهو يجهل حقيقتها .

ادريانوس يتنبأ : كتب دقلديانوس لوالى انصنا يأمره بالسفر الى عاصمة القيصرية فعرف ادريانوس مصيره وأخذ يعانق بيته وغلمانه والأصدقاء واذ رأى بكاء مودعيه صرفهم وهو يقول معزيا (لا تخافوا فان الله سيرسل جسدى اليكم) فرجعوا بفرح بعد أن حصلوا على تعزية ليست بقليلة ــ اما هو فواصل سيره حتى وصل مدينة البلاط وهناك تقابل مع دقلديانوس وبعد نقاش طويل فشلت معه الوعود الخلابة أمر بتعذيبه ثم قتله فأخذه الجند وانهالوا عليه ضربا حتى أصابته أوجاع كثيرة ثم طرحوه فى جب ليموت جوعا وعادوا الى بيوتهم فأراد الله أن يمجد شهيده فأرسل ملاكه وأخرجه معافى واقامه بالقرب من مخدع الملك فلما استيقظ ورآه خاف منه واضطرب ثم دعا رجاله وأمرهم أن يوثقوه ويلقوا به فى أعماق البحار فوضعه العسكر فى كيس وطرحوه بين الأمواج المتلاطمة حتى أسلم روحه الطاهرة وعندئذ سخر الله درفيلا حمله الى مدينة الاسكندرية ثم قذف به على الشاطىء فعرفه الأهالى لشهرته الذائعة ولما سمع غلمانه جاءوا وحملوه الى انصنا بفرح زائد وهم يمجدون الله الذى حقق أقوال عبده الشهيد وبعد أن صلى عليه اكليروس المدينة أودعوه مقره الأخير ليرتد على رجاء القيامة فى هدوء وطمأنينة .

مزايا الايمان : بعد أن يحدثنا التاريخ عن ضحايا الوالى واعماله الاجرامية يعود فى صفحة أخرى ويفاجئنا بخبر جميل « فى هذا اليوم تحتفل

الكنيسة بشهادة القديس ادريانوس ».لم يكن أدريانوس الشخص المسيحى أو الرجل الذى ترهب منذ زمن بعيد .. ولكنه السفاح الذى حسب المسيحية مزرعة تقدم وقودا لناره ويأخذ منها سمائن الكباش .

انه الحـــاكم الجائر الذى أغلق أبواب الـكنائس وجعل معرفة الرب جريمة لا تكفر عنها أسنة الرماح .

أدريانوس الذى يتم الأطفـــال ورمل النســـاء وقاد أبنـــاء الكنيســـة نحو موارد الموت والفناء . الرجل الذى له قلب الثور وشراسة الأسد .

لقد آمن بالأمس واليوم يقف أمام الجلاد فى خشوع ورهبة .

قد يثير هذا فى النفس عجبا ودهشة ولكن هذه العوامل لا تلبث أن

نزول متى أدركنا قوة الايمان الصحيح الذى يشع نوره فى قوله تعالى (وآمن ابراهيم بالله فحسب له برا) .

ان الايمان هو عطية الله الفاخرة التى يعلنها الابن للذين يحبون الله المدعوين حسب قصده وقد شاء أن يعلنه لهذا السفاح الفاجر فيذهب بسيفه الى الكنيسة ليحطمه فوق صـــخرة اعتابها التى فشلت قوات الجحيم فى مهاجمتها ثم يعود الى بيته ليدق أعناق أوثانه وهو يبارك الحـــق الذى أراه كيف يعرف الحق ويعبده فى صورة بهية .

لقد استطاع الايمان أن يقدس الزانية ويبرر العشار ويهب اللص سعادة الخلود أما أدريانوس فبقوة ايمانه الذى لم يزد عن حبة الخردل نقل جبال الاثم والقى بشوامخ قلبه المتحجر فى أعماق البحار فلم تعق طريقه الاشلاء

المبعثرة ولم تقاومه دماء الكهنة الذين أوقع بهم وهم لبـاس الافود لأن دم يسوع يطهر من كل خطية وتمزق مراحمه وثائق الذنوب .

لقد خرج أدريانوس مبكرا ليعمل فى كرم الشيطان الذى تجند لخدمته قبل الشروق وظل مثابرا حتى انتصف النهار ولم يخلد للراحة عند الظهيرة بل ضاعف جهوده مع جنود الظلام وصار يروح بين حقول الشوك ويغدو بين مزارع الزوان حتى أخذت الشمس فى المغيب وعندئذ أدرك شناعة فعله ووقف على بطلان قضيته الفاشلة فأخذ يتراجع عند الساعة الحادية عشر واذ بمراحم الرب تحتضنه قبيل الغروب وها هو يأخذ الأجر كاملا كمن تعب طول النهار دون أن يطمع فى دينار أحد . فاقبلنى يارب أنا الذى جئت متأخرا ولا تقل لى أين كنت عند اشتداد حر النهار ــ لقد كنت متوانيا أعيش بخلاعة بين المسرفين حتى تركتنى الخطية قبل أن اتركها وتغافلت عن حقك فى أيام القوة فلا تتغاضى عن ضعفى وانا طريح الفراش أذكر حنانك أيها الصالح الودود ولا تنسى الانسان الرمة وابن آدم الدود .

القدوة الصالحة : تحدثنا عن الايمان الذى جعل من أدريانوس رجلا له ميزاته المسيحية الخاصة والآن نعود لمعالجة القدوة الصالحة التى أنارت امامه الطريق فكان ثبات الشهداء وعزوبة الفاظهم وانكار ذواتهم سببا فى خلاص الوالى وسعادته الدائمة فصدق قوله تعالى (ليروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات) اذ ليس هناك من عمل أفضل من غفرانك للمسىء وتجاوزك عن الذين ارادوا بك شرا لأن المسيح لـم يوهب لك أن تؤمن به فقط بل ان تؤمن وتتألم معا فقد تضطهد من الأهل وينبذك الأصدقاء ويتنكر لك اقرب الناس اليك وسوف يعرض عن جراحك اللاوى ولا يلتفت اليك الكاهن ويتركك الكل بين حى وميت تقاسى انواع البلاء فليس معنى هذا أن تيأس او تتراجع الى الوراء لأن الرب أعد من خلفك ملاكا يحصى تنهداتك ويسجل عبراتك ويرسم صورة واضحة لجراحك اذ لا يترك الكامل ولا يأخذ بيد فاعلى الاثم وها هو بخفى لطفه يمسك يمينك ويتقدم مسيرك حتى تجتاز النار وتعبر الماء ثم يخرج بك الى الراحة .

أما الذين نغصوا عليك عيشك وكدروك بقبيح افعالهم فمتى رأوا ايمانك الراسخ وصبرك الجميل فسوف يعودون الى أنفسهم ويعذبون من ضمائرهم

وعندئذ يعلنون برك كالصبح وحقك مثل الظهيرة وان أغلظوا قلوبهم وتمادوا فى غيهم فدعهم وانتظر خلاص الرب الذى من أجله نمات كل النهار .

هذه رسالة النيروز نبعث بها فى هذا العام المبارك من بين أطلال مدينة انصنا التى جعل العدو منها قاعدة لهجومه العنيف فكان يسدد ضرباته لأتقياء الرب وهم فى هدوء يصوبون اليه سهام الايمان والصلاة حتى منى بالفشل والهزيمة،فألقى سلاحه وأعلن وقف القتال ومن ثم ظهرت المدينة فى ثياب الغلبة وأخذت تتبوأ مكانة رفيعة فكان أسقفها فى طليعة رؤساء الكهنة الذين شهدوا المجمع النيقاوى وقاموا بوضع قانون الايمان المقدس .

لقد مات ادريانوس متجددا وترك من خلفه رجلا يشبه انسانه العتيق وها هو يحيا بيننا ولكن فى رياء وصفات دنيئة رفض السفاح أن يسلكها فى حياته .

فقبل اهتدائه أبى أن يتخذ لنفسه شخصيتين وعند مسيحيته لم يعرج بين فريقين . أما هذا فهو الوثنية فى جسم الحرباء . نراه فى الدين يظهر بمسوح سوداء يخفى بينها سمومه الدفينة وحيته الرقطاء ونراه فى الدنيا يقول انه الحاكم العادل الذى لا يأخذ بالوجوه وهو يأكل مال السحت ويتلذذ بعرق الأجير وفى المرافق الاجتماعية يحدثنا عن الاصلاح بكلمات معسولة وهو الثعلب الماكر الذى يحتفظ برمم المبادىء فى وكره الوضيع .. وفى البيوت والأندية يطوف مقلدا رجال الصلح والسلام وهو الشر فى صورته البذيئة.

ان كرامتنا المسيحية لا تتفق مع رجل كهذا مهما كان ثوبا فعلينا أن نحاربه فى القرية ونطارده داخل المدينة ونخرج الى البرية ونهاجم حصونه القوية فنحن لن نكف عن قتاله حتى نضع حدا لسوء أفعاله وعندئذ نكشف للقوم عن ساقه الخزفية ونرى كيف كان الناس يخشون عرزاله .

ان أكملنا هذه الرسالة فقد أحرزنا النصر ويسوغ لنا أن نحتفى بالنيروز احتفاء قوميا يليق بكرامة الأجداد ودينيا يتفق مع جلال الشهادة ونرفع أصواتنا بالتحية قائلين : سلام عليك يا كنيسة المجد وتبا لجميع أعدائك اللئام مبارك انت يا شعبى مصر وسقيا لرفات شهدائك الكرام .

سنة الرب المقبولة

سنة الرب المقبولة*

نودع الآن سنة حافلة بأنواع المآسى التى شرب الناس كؤوسها فى جزع ولهفة ونستقبل عاما جديدا تحيط بشمسه هالة البشر والرجاء ونحن نردد شكره تعالى مع النبى القائل (انه من احسانات الرب اننا لم نفن لأن مراحمه لا تزول) .

فقد تمر الدهور كظلال عابرة وتذهب الأجيال مع الرياح العاصفة ولكن مراحم الرب ليس لها فناء ، فهى تتجدد عند الصباح وتكثر عندما يقبل الليل باشباحه المخيفة اذ هو يحيط بصديقيه ويلذذ نفوسهم بتعزيات وفيرة .

اننا نقف الآن بأقدامنا على أعتاب مرحلة طويلة لا ندرك من أسرارها شيئا ولا نعلم ما الذى يضمره لنا الزمن أنبكى على ضفاف النيل كقوم أسرى أزعجهم البؤس وأضناهم الحنين ؟ أم نفرح بالقدوس الذى أعاننا وأخرجنا من النار والماء وأتى بنا الى الرحب والراحة ؟ انقطع الوقت فى مشاجرات سخيفة تدور حول قضية فاشلة اذ نطرح النزاع جانبا ونتفرغ لعلاج أدوائنا فى هدوء وحكمة ؟

•

ترى ما الذى يضمره لنا الغد وقد شيعنا بالأمس الى كورة الموتى كثيرين من ذوى الأعمال النافعة وصرنا الان نصارع مختلسى الانسانية الذين يؤكدون وجودهم بالنهيق عند الجوع ويسيئون للمحسنين اليهم عند امتلاء المذاود .

أى نيروز تحمل يا هذا العام .. اننا لا نريد عيد الذكريات الجوفاء أو يوما تقليديا نحتفل به كما لقوم عادة بل نريد ن نسمو بأرواحنا فوق صغائر

---

* رسالة المحبة ١٩٥٢ .

الحياة ونستقبل العام الجديد بضمائر مستيقظة لوحتها شموس الصفاء فنتناسى الاحقاد والضغائن ونترحم على شهود الحق وشهداء الايمان الذين سقطوا فى ميدان المجد والشرف ونعمل على توحيد الصفوف وسد الثغرة التى هاجمتنا منها صغار الثعالب نريد أن نجعل من بدء السنة الجديدة مبدأ نعود به الى مبادىء المسيح الأولية فلا ننعب كالبوم فوق الأمجاد الدارسة بل نحيى أرواح الشهداء فى حماس وقوة ونتابط انجيل الحق لنكرز بسنة الرب المقبولة .

سنة ترتقى فيها البشرية الى اسمى مدارج الكمال وتتحرر من أدوائها الخبيثة فلا تخضع لعاطفة مذهبية ولا تتأثر بالطائفية بل تعامل بنيها بعدل ونزاهة .

سنة لا يدركها الدجى ولا ترعب أيامها كاسفات النهار لأن فى صباحها فرح وهتاف وليل الشر لا يكون .

تعالى يا سنة الأحلام الجميلة فنرقد تحت ظلالك الوارفة .. ايت الكرى يهادن أجفاننا التى أدركتها المتاعب فننام نوما لذيذا ونستفيق على صدى أطيافك التى نود أن نرى فيها هديا وتضحية وسلاما .

هديا قد ظل العالم يئن متوجعا من طعنات الخطية الدامية حتى جاء المسيا فسحق الشر وهزم جنود الظلام وأوجد فى الأرض انسانا مفديا مطهرا من شوائب الاثم يتحدى الموت ولا يعبأ بالمتاعب ولكنه كمخلوق دنىء رفض حرية النعمة التى أعطيت له وعاد يوقظ فى نفسه غرائز الانسان العتيق ويضع عنقه بين مخالبه القاتلة فكان كالخفاش الذى ليس فى وسعه أن يواجه الأنوار الساطعة ويجد لذيذ الاقامة بين الخرب التى يسودها القتام لهذا كثر الشر وتفاقم النفاق فأصبحت الحياة خالية من المبادىء الحميدة التى تكفل للانسان الراحة والسلام وتدفعه نحو الاقدام والمروءة وأخذ الكل يتنازعون على متاع الدنيا ويتصارعون كما تفعل الكلاب حول جيفة كريهة .

ترى من يضع حدا لهذه المآسى ويعيد للانسانية طمأنينتها المفقودة ويرسم امامها طرق الكمال .

من يصلح البشرية المعوجة التى ازدرت بنعم الفداء ولبست انسان اللعنة واخذت تعمل فى ارض الشقاء بين الشوك والحسك .

من يقوم بالهداية وقد سرى الشر فى كل عروق البدن فاعتل الراس واضطرب القلب وعجزت الأعضاء عن تأدية وظائفها وصار الجسم فى مجموعه جثة بالية يعمل الناس على مواراتها الثرى حتى لا يزكموا بروائحها الكريهة .

اننا نشعر بنقص روحى عميق جعل انتاج النفس عقيما وليس لنا أن نتفادى هذه الحالة المريرة الا بالانطراح تحت قدمى الفادى الذى فيه ذخرت سعادة النفوس التى حطمها البؤس واضناها العناء فقبل أن نبدأ فى قطع مرحلة العام الجديد وجب علينا أن نتقدم الى جلاله فى خشوع وانكسار ونرمى أمام حضرته بأحمالنا الثقيلة ونسأله هديا ورشاداً .

هديا يعيد للنفس الظالمة روعتها القدسية فتهب أموالها للفقراء الذين حرموا من مباهج الحياة وتقذف من خزائنها بكل قرش لم يبتل بعرق الجبين .

هديا يمزق عن أجسادنا سربال الطواويس فلا ننخدع بجمال وثروة وصحة بل نعرف حقيقة طبيعتنا الفاسدة فنأخذ نعمة المتواضعين ونتفادى مقاومة المتكبرين .

هديا يجدد هياكلنا التى افسدتها الخطية ويكسوها طهرا وعفافا فيرنم القلب فى فرح وغبطة (طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله) .

تضحية : ان الهدف الأول بين ذكريات النيروز هو تلك التسمية الرفيعة التى تضمنت أسمى المعانى التى تقوم عليها الانسانية النبيلة التسمية التى تنكر لها العالم فصار جحيما يتلظى بين نيرانه الضعفاء الذين أوقعهم الحظ العاثر بين مخالب الأقوياء .

رسم الرب شعار التضحية بحياته التى جعل منها مثالا عاليا للخدمة الانسانية التى لا يعتريها عيب ولايشوبها غرض فاراح ابنة الكنعانية المعذبة ولم

يعرض عن السامرية التى فقدت رداء الشرف كما أسقط الحجارة من أيدى الذين كانوا يرومون رجم المراة التى امسكت وهى فى وضع قبيح .

بعد اقتضت تضحية الرب أن توقفه بين جماعة المتذمرين الذين كانوا ينتقدون اعماله فى خسة وقسوة فنعتوه بالسارى وسلبوا منه تفكيره السليم ووصفوه برجل أكول يقضى اوقاته بين الخطاة والعشارين ومع هذا لم يتراجع عن خدماته الجليلة بل كان يجول يصنع خيرا لأنه يعلم جيدا ما انطوت عليه السنة البشر من سموم ورياء وما هى فى حاجة اليه من تهذيب وتقويم وهكذا اخذ يواصل تأدية الرسالة حتى سما بها الى ذروة الصليب الذى بين تقاطع خشبتين استبدل الموت بالحياة فكان ضعفه قوة وعاره مجداً وموته بعثا وتوجيها نحو عالم جديد .

ولقد انطبعت سمات الرب فى تلاميذه وتابعيه فانكروا ذواتهم وطافوا برا وبحراً يحملون الصليب ويكرزون ببشائر الذى دعاهم من الظلمة الى نوره العجيب ولم تستطع سيول الاضطهادات الجارفة أن تطفىء نيران محبتهم القوية التى كان لمدلولها أثر واضح قوى فى الشهداء الذين تحدوا الموت وقاوموا جبابرة القياصرة ولم يعبأوا بالخلع والعطايا ورفضوا كل معربات الحياة فكنت تراهم يزأرون فى وجوه الملوك ويزمجرون أمام الولاة فى حماس روحى عميق كما كانوا يواجهون السيف والنار والوحوش بابتسامة تشف عن استنارة القلب وطمأنينة الروح ..

اننا الآن نتحدث عن هذه التضحية المشرفة ونرفع رؤوسنا الى العلاء عندما نعلم أن البابا بطرس الأول اشار على جلاديه أن ينقبوا السجن ويخرجوا به من غير طريق الباب الرئيسى الذى يحدق به جمهور الثائرين ليمكنهم من راسه الذى يطالب به دقلديانوس الطاغية . ولكن نطرق برؤوسنا الى الأرض حتى تندى وجوهنا حياء وخجلا عندما نرى اليوم المسئولين فى الكنيسة يقومون لصوت العصفور وينزعجون لاحداث طفيفة لا تتجاوز خيوط العنكبوت .

اننا نريد رجالا اقوياء يعملون تحت راية الحق .. الحق الذى لا ينزعج ولا يخاف الحق الذى لا يخشى سطوة الذين يقتلون الجسد ... الحق الذى يخوض غار الوغى ناظرا الى تضحيات المسيح .

سلاما : يشعر العـــالم بخوف ويتوقـــع الحرب من آونة لأخرى لأن الشر يخيم على ربوعه ولا سلام بين مساكن الأشرار وسوف يشقى الـــكون ويرتفع أنين الخليقة طالما يدير الناس ظهورهم للانجيل ويتنكرون لمبـــادىء الكمـــــال .

وعد الرب خائفيه بضيق فى العالم ولكن وضع فى شخصه حقيقـــة السلام فان لم نتوجه اليه بصفاء ونقاوة فسيدمى الشوك أقدامنا ويمـــزق أجسادنا الحسك ونظل نتخبط فى دياجير الظلام بين صخور القلق والانزعاج حتى تبتلعنا الهاوية ويغمرنا الموت بظله الكثيف .

لقد لمس الشهداء سلام الرب الذى يفوق العقول وشعروا بجلاله عند نزول المحن والتجارب فعذبوا ولم يقبلوا النجاة لينالوا قيامة افضل وعنـــد الموت استنارت نفوسهم بسناء البر والطهارة حتى ادهشوا جلاديهم الذين كانوا يقودونهم الى مواضع العـــذاب وتركوهم فى ريب من أمرهم بعد ان عملوا على تمجيد دينهم القويم فرأينا طغاة الشر يتراجعـــون عن غيهم ويندمون على ضلالهم ويكفرون عن سوء صنيعهم بالتضحية والشهادة .

ان العالم المسيحى لن ينسى السلام الذى كان يغمر الكهوف والمغائر ويملأ سراديب الأرض وشقوقها يوم كان النصارى يستضيئون بنور العالم ويوقدون سرجهم بزيت الزيتونة التى طعموا فى أصولها وتأصلوا وصـــاروا كشجرةمغروسة على مجارى المياه أوراقهالن تذبل أبداكما لم تنس الكنيسة تلك الطمأنينة التى كانت ترتسم على وجوه بنيها يوم أن كانت الظلمة تملأ الأرض ويحدق بسكانها الخوف والاضطراب .

لقد فقدت الكنيسة كثيرا من ميزاتها القويمـــة وصـــار بنوها يعثرون الخارجين عليها بتصرفاتهم الذميمة التى لا تتفق مع مناهج الروحانية العميقة التى اقامها المسيح وليس فى وسعنا ان نحصل على بركات الرب الوفيرةان لم نتراجع عن عيوبنا وندفن فى أعماق الثرى انساننا العتيق فعلينـــا أن نعمل على احياء الشخصية الجديدة التى أنجبتها المعمودية وأخرجتهـــا من حميمها نقية طاهرة لا تشوبها العيوب وظللها بظله وانعم عليها بمـــواهب روح قدسه الشخصية التى هداها الله بهديه ، الشخصية التى جعلت من الحياة تضحية ومن التضحية حياة وحسبت الموت ربحا ـــ التضحية المسالمة الوديعة التى تصنع السلام لتظفر بأوسمة تطويباته الرفيعة وتستقبل العام بفرح وبهجة لتكرز بسنة الرب المقبولة .

الاضطهادات العشرة وشهداؤها

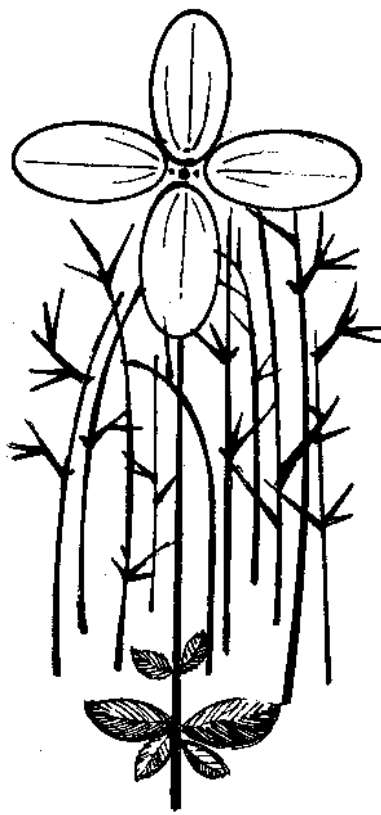

الاضطهادات العشرة وشهداؤها*

غمرت الامبراطورية الرومانية شرقا وغربا موجة من الاضطهادات العنيفة التى أثارها القياصرة الوثنيون ضد المسيحية فى الأجيال الثلاثة الأولى بعد أن رأوا فيها عملاقا يهدد كيانها ويكتسح نفوذهم ، وذلك عندما الغت الرق ، ونادت بالتحرر والمساواة ، وحاربت التفرقة العنصرية .

ولما كانت مصر وهى احدى الولايات الرومانية وقتئذ فى مقدمة البلاد التى قبلت المسيحية واعتزت بمبادئها القويمة فقد نالت نصيبها من هذه المجازر وقدمت كثيرين على مذبح التضحية من أبنائها الاماجد .

فعندما بلغ أوان القضب وسمع صوت اليمامة يتردد على ضفاف النيل فى نبرات خافتة خرج المؤمنون وهم يحملون رؤوسهم على أيديهم دفاعا عن ايمانهم المقدس وشرف التسمية الكريمة التى أطلقت عليهم ولسان حال كل منهم يقول « من سيفصلنا عن محبة المسيح » تلك المحبة التى تجلت واضحة فى استسلام المؤمنين لجلاديهم واستقبا لهم الموت بفرح وشجاعة حتى أن أحدهم هتف عند استشهاده قائلا من انا يا سيدى حتى أرضيك بدمائى ما هى دمائى الآثمة بالنسبة لدمائك الطاهرة يا مبدع الكائنات .

ولم تكن هذه المذابح الوحشية قاصرة على مكان معين من بلادنا العزيزة بل امتد سيف الغاشم من ادنى البلاد الى اقصاها فأحالها الى

---

* مجلة مدارس الأحد ١٩٦٦

سعير وقوده الرجال والنساء من مختلف الأعمار فكان بكاء وعويل فى كل موضـــع .

ولما كانت الاسكندرية عاصمة الولاية وفيها تكونت أول جمـاعة مسيحية مصرية فقد ركز العدو هجومه عليها حتى سالت الدماء فى الشوارع والأزقة واشتدت صرامة السفاحين على الحملان الهادئة الوديعة حتى ظن البعض أن العصاة قد أفنوا بسيوفهم عبيد الرب من على وجه كل الأرض .

وكان أول اضطهاد وقع على المسيحيين فى الاسكندرية هو الذى حدث فى الاضطهاد الأول الذى أثاره نيرون الملك الدموى ٦٥ — ٦٨ م فعنـدما اختطف الوثنيون القديس مرقس الرسول الانجيلى من كنيسة بوكاليـا هجمت الدهماء على الأحياء المسيحية وسلبت من المؤمنين أموالهم وارواحهم فسالت دماء الأبرياء فى ظروف مريرة قاسية .

وقد واصل القياصرة تجبرهم على النصارى بعد انتحار نيـــرون الطاغية الذى أحرق مدينة روما وجلس يعزف بعوده على صوت اندلاع النيران فقام دومتيان ٨١ — ٩٦ م يدعو لاضطهاد ثان بعد أن دخلته الوساوس بأن أحد أنسباء يسوع سيأتى ويسلبه مملكته الأرضية فأرسل واستدعى كل المعروفين بقرابتهم الجسدية للمسيح من بيت داود الى مدينة روما وأخـذ يفحصهم بنفسه جيدا فاذا بهم جماعة من الفقراء والمعوزين الذين لا يملكون من حطام الدنيا شيئا فأخلى سبيلهم ، وسمح لهم بالعودة من حيث أتوا ؛ وكان فى بدء الأمر قد غدر بكثيرين عند حدة غضبه .

ثم نســج على منوال دومتيان الملك ترايان ٩٨ — ١١٧ م الذى كان يخشى من التآمر على عرشه فأصدر أمرا سنة ٩٩ بمنع الاجتماعات السرية ولما كان المسيحيون لا ينقطعون عن اجتماعاتهم للعبادة فقد أمر سنة ١٠٤ باضطهادهم أينما وجدوا فكتب اليه بلينوس الأصغر حاكم بيثينيا يستشيره فى هل يجوز قتل المسيحى لكونه مسيحيا فقط وأن لم يرتكب جرما؟ فكتب أيضا قائلا « لا يجوز التفتيش على المسيحيين ، ولكن اذا مثل أحدهم أمام الوالى وعرض عليه عبادة الأصنام وأبى فله أن يهدر دمه ! وهكذا تذرع الوثنيون بهذه الوسيلة لقتل كثيرين فى الاضطهاد الثالث .

أما الاضطهاد الرابع فقد اشعل ناره الملك أدريانوس سنة ١٢٦ م لينال من أحبار الوثنية لقبا دينيا يعرف بموجبه « بحامى الوثنية الأعظم »

وفيه أباح للرعاع أن يقتلوا المسيحيين دون ان يقدموا للمحاكمة مهما بلغ عدد ضحاياهم فاحتج الكتاب المسيحيون على هذه المعاملة الجائرة فى مقدمتهم كدراتوس الأثينى وارستيدس الفيلسوف فأحدثت كتاباتهم ضجة كبرى فى كل بلاد الامبراطورية وتراجع الطاغية عن اجراءاته التعسفية وأصدر امرا بقتل الذين يفترون على المسيحيين ويتضح للحاكم بطلان ادعاءاتهم . وقد سار بموجب هذه السياسة انطونيوس بيوس ١٣٨ — ١٦١ فاحتج على تصرفاته القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد .

وحاول ذبح حملان القطيع الصغير فى الاضطهاد الخامس الامبراطور مرقس أوريليوس ١٦١ — ١٨٠ م ومع أنه كان فيلسوفا مثقفا الا ان تعصبه للفلسفة الرواقية جعله يرغم المسيحيين على اعتناقها بقوة السلاح .

كما كان من جهة أخرى يخشى على سلامة الامبراطورية من انتشار المسيحية فى بلاده فأمر بالتفتيش على اتباعها وبمحاكمتهم بشكل صرامة وقسوة فاحتج على أوامره الجائرة القديس ميليتون اسقف ساروس واثيناغو راس الفيلسوف ولكن لم يسمع لهما احد فاختفت العدالة وظهرت المظالم فى اشباح مخيفة. وبعد موت أوريليوس خلفه ابنه كومود ١٨٠ — ١٩٢ م فتنفس المسيحيون فى أيامه الصعداء ولكن هذا لم يدم طويلا لان سبتيموس سفيروس ١٩٦ — ٢١١ الذى ورث الحكم بعده امر على اثر ثورة اليهود بقتل كل من يدين بالمسيحية ، وذلك بمرسوم أصدره سنة ٢٠٣ فكان ذلك داعيا لاشعال نار الاضطهاد السادس الذى ساهم فى اضطرام جحيمه ابنه كراكلا ٢١١ — ٢١٨م. وقد آل حكم الدولة الرومانية بعد موت كراكلا الى غاليو كابل ٢١٨ — ٢٢٢ الذى كان من اتباع مذهب الاختيار الايكلكتيك فلم ينظر للوثنية بارتياح كسابقيه بل سخط على اتباعها واراد أن يوحد بين المسيحية والميوسيكية السورية التى كان يؤمن بصحتها ؛ ولما عاجلته المنية خلفه فى ملكه اسكندر سفيروس ٢٢٢ — ٢٣٥ ، وكان هذا نيوبلا تونيا اى من اتباع الافلاطونية الحديثة ، وكان يرى فى المسيحية أنها اقرب المذاهب الموجودة فى دولته الى الحقيقة فوقف بجانب النصارى ورد اليهم أملاكهم التى اغتصبها الوثنيون منهم .

ولكن مكسيموس التراكى ٢٣٥ — ٢٣٨ اغتاله واغتصب عرشه ، ولكى يرضى الوثنين قام بالاضطهاد السابع وفيه أعلن سخطه على النصارى وخاصة رؤساء الدين منهم وقد خلفه غوارديانوس ٢٣٨ — ٢٤٤ وفيلبس العربى ٢٤٤ — ٢٤٩ وفى ايامهما ولا سيما الأخير منهما شعرت الكنيسة بقسط وافر من الراحة .

الا أنها عادت ودفعت الثمن باهظا لأن داكيوس ٢٤٩ — ٢٥١ بسبب موقف سلفه من هذه الجماعة عاد وركز مظالمه عليها فأصدر أمرا سنة ٢٥٠ م باستئصال المسيحية وارغام تابعيها على اعتناق الوثنية فكان الاضطهاد الثامن الذى فيه تناثرت الأشلاء وتطايرت الدماء .

وفى سنة ٢٥٢ جلس على العرش والريان فأصدر أمرا سنة ٢٥٧ م ينفى الأساقفة كراسيهم الى جهات نائية ، ولما رأى أن ذلك لا يعطل سير العمل فى الكنيسة أمر بالاضطهاد التاسع وفيه قتل كبار الاكليروس وصادر أموال الاشراف ، وحرم الفرسان المسيحيين من التمتع بكافة حقوقهم المدنية ، ولما خلفه ابنه غالين ٢٦٠ — ٢٦٨ أصدر أمرا بمنع اضطهاد المسيحيين واعادة المنفيين منهم مع رد أملاكهم اليهم فاستراحت الكنيسة طيلة حكمه .

وقد حاول أوريليان ٢٧٠ — ٢٧٥ ازعاجها فلم يفلح ومات قبل أن يتم مقاصده الشريرة .

أما الاضطهاد العاشر والأخير وهو اشر الاضطهادات واقطعها فقد اثاره دقلديانوس سنة ٣٠٣ ، وكان هذا القيصر الذى تقول بعض المصادر انه من اصل قبطى قد جلس على الأريكة الرومانية سنة ٢٨٤ م ، وفى سنة ٣٠٥ رأى أن يستعين ببعض قواده فى ادارة مملكته الواسعة التى كانت وقتئذ معرضة لهجمات البربر فعين مكسيمانوس بلقب أوغسطوس على القسم الغربى من المملكة سنة ٢٨٥ ثم جعل قسطنديوس كلوروس بلقب قيصر على غربى أوربا ، وغاليريوس على القسم الشرقى منها ، وكان ذلك سنة ٢٩٢ .

وقد ظل دقلديانوس الذى كان يحكم تراكيه ومصر وآسيا عشرين عاما لا يسىء الى المسيحيين اذ كان يعتبرهم جزءا لا يتجزأ من امبراطوريته العظيمة ، ولكن صهره غاليريوس كان ينفث تهديدا وغضبا فانتهز ضعف دقلديانوس وكبره واستصدر مرسوما سنة ٣٠٣ بهدم كنائس المسيحيين وحرق كتبهم المقدسة وعندئذ قام احد المؤمنين بتمزيق المرسوم الملكى فكانت الطامة الكبرى اذا امتلأ القيصر حماقة وغضبا واخذ يبطش بالأساقفة ويذبح المؤمنين فكان هذا عاملا قويا فى تقوية الكنيسة وتدعيم الايمان اذا انطلقت نحو الشهادة زوجة القيصر وابنته وهى امرأة غاليريوس حاكم ولايات الدانوب الذى حرض على كل هذه البلايا .

ولمـــا رأى دقلديانوس أن وحشيته هـــذه لم تحقق ضالتـــه المنشودة ، وأن المسيحية قد اجتاحت بيته وتغلغلت فى مختلف الأوساط ملأ اليأس قلبه ، وانحطت قواه الجسمانية فاعتزل الملك سنة ٣٠٥ ، واخـــلى مكانه لمكسيميانوس الذى ساهم فى حكم الامبراطورية مع غاليريوس وقسطنديوس خلو روس ثم تطور الوضع اخيرا فاستقال غاليريوس على أثر مرض أصابه وخلفه القائد ليكينوس كما أقام قسطنطين ملكا على غرب أوربا بعد موت أبيه قسطنديوس خلوروس سنة ٣٠٦ فوقع مع ليكينوس مرســـوم ميلانو الشهير سنة ٣١٣ م ، وفيه أباحا حرية المعتقـــد وســـمحا بالنصرانية لمن يشـــاء .

وهكذا خرجت الكنيسة من بودقة هذه الاضطهادات العشرة المريرة وهى نقية كالذهب طاهرة كالفضة . خرجت وهى تحمل علم النصر هاتفة ولما رأى دقلديانوس أن وحشيته هذه لم تحقق ضالته المنشودة ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها .

† † †

(٢)

شهداء من الأساقفة

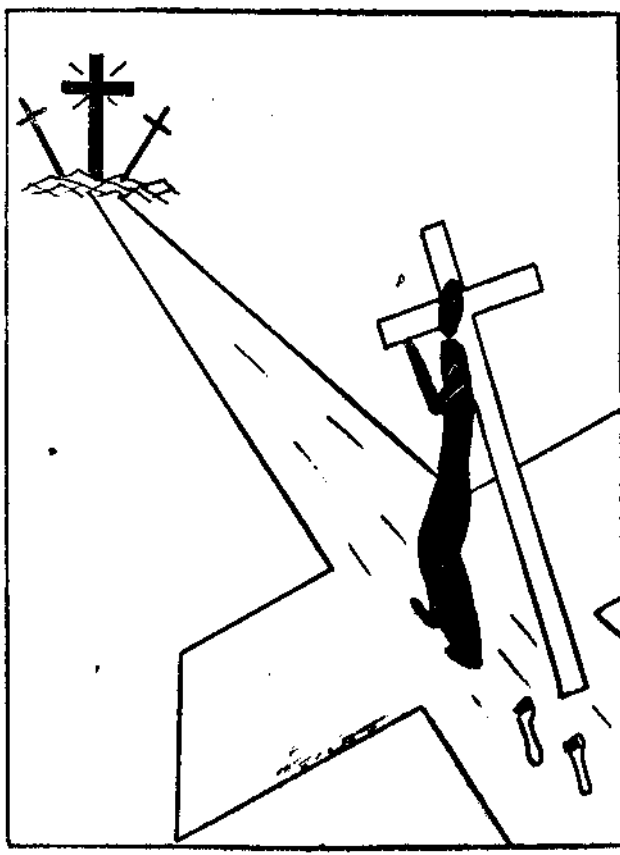

(٢)

شهداء من الأسافقة

وقد تفنن القياصرة وعمالهم فى جميع أنحاء الولايات الرومانية فى التنكيل بالمسيحيين والقضاء عليهم بطرق شتى فكانوا يعذبونهم بوخز الحراب ونزع الأظافر ودهن أجسادهم بالعسل وتركها للسع الزنابير وكيها بالحديد المحمى وتمشيطها بأمشاط من فولاذ حاد . كما كانوا يقتلونهم بالسيف أو يطرحونهم للوحوش الضارية أو فى النيران المتقدة . ناهيك عن الهنبازين ومراجل الزيت المغلى ووضع الضحايا فى غرائر وهم مكتوفوا الأيدى وطرحهم فى اعماق البحار واحيانا كانوا يبتكرون بعض الأساليب الجهنمية فيربطون رجلى الشهيد فى غصنى شجرتين متضادتين حتى اذا ما تحرك الريح العاصفة مزقه بصورة وحشية عنيفة . وأول دم مسيحى أريق على اديم بلادنا المصرية كان دم القديس مرقس الانجيلى رسولنا العظيم وكاروزنا الجليل المبارك الذى استشهد على يد الوثنيين بمدينة الاسكندرية فى ٣٠ برمودة الموافق ٢٦ ابريل سنة ٦٨ م ودفنت رفاته الطاهرة فى الكنيسة التى انشأها ثم نقلت بعد الى مدينة البندقية ومن ثم انفتح باب الشهادة على مصراعيه فى مدينة الكرازة وحاول العصاة فى بادىء الأمر استئصال قادة الشعب من رجال الاكليروس حتى تضطرب الصفوف فى الكنيسة الناشئة فاستشهد سنة ١٠٤ م ؤفى الاضطهاد الثالث الذى أثاره تراجان القديس كردونوس البطريرك الرابع من باباوات الكرسى الاسكندرى وذلك بعد أن برهن للوالى على ألوهية المسيح وافهمه أن اتباعه لن يرضوا بغيره بديلا مهما كلفهم الأمر من مشقة .

ولما شرع مكسيميانوس فى ملاشاة المسيحيين ومطاردة احبارهم فى الاضطهاد العاشر قبض على البابا بطرس الأول البطريرك السابع عشر بينما كان يطوف بين شعبه واعظا ومشجعا وحكم عليه بالموت . ولكنه اذ كان يخشى هياج الشعب المسيحى وخاصة فى مدينة الاسكندرية أودعه السجن ريثما يتمكن من تنفيذ العقوبة أما البابا فعندما علم بنية القيصر ورأى أبناءه يرابطون حول أسوار السجن ويحدقون به من كل جانب خاف ان تفلت من يده فرصة الشهادة التى كان يستعذب مذاقها فاتفق مع حارسه أن يخرجه من ثقب معين فى أحد الاسوار على أن يمكنه قبل موته من زيارة قبر مرقس الرسول . ولما كان الحارس يريد أن يقدم خدمة لحكومة القيصر بتنفيذ العقوبة فى رئيس الكهنة المعتقل أجاب مطلب البابا وخرج به بعيدا عن رؤية مناصرية حتى وصل به الى ضريح الكاروز وهناك امام مثواه المكرم اخذ يناجيه قائلا : « أيها الشهيد الكريم صاحب انجيل ابن الله الراقد فى هذا المكان أترانى أهلا ان أستريح بجانبك ؟ » ثم رفع وجهه نحو السماء وقال بصوت تختنقه العبرات : « أيشاء الله أن يجعل دمى حدا لعبادة الاصنام واضطهاد المسيحيين ؟ » فسمع صوتا من العلاء يقول « آمين » ومن ثم انطلق فرحا نحو المكان المعين وهناك قدم عنقه للجلاد بكل ثبات وعزيمة فهوى عليه بسيفة الغاشم وأطار هامته المقدسة فانطلقت روحه الطاهرة نحو مقر الراحة بين الملائكة وتهليل الصديقين . وتعيد الكنيسة لذكراه فى التاسع والعشرين من شهر هاتور .

ومن الأساقفة الأجلاء الذين قدموا نفوسهم على مذبح التضحية فى القرون الثلاثة الأولى الأنبا بسوره أسقف مدينة مصيل التى لاتزال أطلالها قائمة الى الآن قرب قرية بسنتاوى من أعمال أبو حمص — فهذا الراعى الطوباوى جمع شعبه قبل خروجه للشهادة وعرفهم بنواياه الحميدة .. وأوصاهم أمام المذبح بحفظ وصايا الرب وبعد أن ودعهم ذهب الى مدينة الوالى ومعه ثلاثة من الأساقفة لم يفصح كاتب السنكسار عن أسمائهم الكريمة فلما عرف الحاكم أنهم من قادة النصارى أمر بضرب أعناقهم فاستشهدوا معا فى التاسع من شهر توت . وقدمت أيضا مدينة توماييس المعروفة حاليا بتمى الأمديد عددا وافرا من الشهداء الأفاضل يتقدمهم القديس ميلياس أسقف المدينة التى كانت وقتئذ من أشهر ايبارشيات الكرازة المرقسية وأقدمها عهدا .

ومات مستشهدا فى عهد دقلديانوس القديس سرابمون أسقف نقيوس وهى الآن زاوية رزين من أعمال المنوفية . وقد كان هذا الأسقف يهوديا فقبل المعمودية من البابا ثاؤنا السادس عشر ونال رتبة الأسقفية من البابا بطرس البطريرك السابع عشر وتعيد الكنيسة لذكراه المباركة فى الثامن والعشرين من شهر هاتور . وانتقل فى عهد دقلديانوس بعد ضرب عنقه الأنبا ابسادى أسقف ابصاى المعروفة الآن بالمنشاة فى السابع والعشرين من شهر كيهك ولحق به فى الثانى من شهر طوبه الأنبا غليفيكوس أسقف أوسيم الذى بعد أن تزود مع شعبه من السرائر المقدسة أقبل نحو الوالى يتقبل عذاباته بصبر وشجاعة الى أن أسلم روحه الطاهرة بيد المسيح الذى أحبه .

ويعوزنا الوقت لو تحدثنا عن أنواع التضحية المجيدة التى أتاها الأباء الكهنة الذين اقتدوا بمعلميهم من الأساقفة فكانوا يسبقون رعاياهم نحو ميدان الشهادة وهناك يقدمون ذواتهم قربانا للرب الذى قهر الموت من أجلهم وأنار أمامهم طريق الخلود .

شهداؤنا من العلمانيين : لما رأى الشعب أحباره يقدمون أنفسهم للموت دون خوف أو وجل . اندفع هو أيضا نحو الشهادة متشبها بهم فمات منه مئات الآلاف بكل أنواع الوسائل الجهنمية الفتاكة التى جادت بها قرائح السفاحين . وكان أكثر الشهداء عددا هم الذين قضوا نحبهم فى الاضطهاد العاشر الذى أثاره ديوكليان واشترك معه فى اضرام نيرانه زميلاه الشريران غاليريوس ومكسيمان حتى قدرهم بعض المؤرخين بثمان مئة واربعين الفا (تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٣٢) ولو احاط التاريخ علما بجميع هؤلاء البررة لاحتجنا مئات المجلدات لتسجيل أسمائهم فقط . لهذا رأينا أن نكتفى بذكر بعض الشخصيات الشهيرة التى خلد التاريخ ذكراها .

فمن قضوا فى الاضطهاد السادس الخطيب ليونيدس والد العلامة أوريجانوس الذى استشهد فى الاسكندرية سنة ٢٠٣ على عهد الامبراطور سبتيموس سافير ولقد كان لمقتل هذا القديس أثر بالغ فى حياة ابنه الجهبذ العظيم الذى كان دائما يتوق لنوال الشهادة ولكن لأسباب خارجة عن ارادته لم يتشرف بها .

ومن النجوم المصرية اللامعة التى تلألأت فى فلك الشهادة القديس مينا الذى ولد بمريوط فى منتصف القرن الثالث وتجند لخدمة البلاد فى عهد

الاحتلال الروماني . ولما رأى أن الوالي يريد أن يفرض عليه عقيدة معينة تتنافى مع دينه المجيد ثار لكرامته ولم يتجاوب مع المستعمر الغاشم فأماته ظلما وعدوانا . وتعيد الكنيسة لذكراه العاطرة في الخامس عشر من شهر هاتور. وتتحدث المخطوطات القديمة ومن بينها السنكسار عن القديس اسحق الدفراوي الرجل المصري العظيم الذي عذب ولم يقبل النجاة لينال قيامة افضل وكيف كان يتكلم مع جلاديه بروائع الادب المسيحي وقد اكرمته الكنيسة بعد ان مات مغتبطا بجهاده وجعلت اليوم السادس من شهر بشنس عيدا لذكرى انتقاله كما استشهد من رؤساء مدرسة الاسكندرية في اضطهاد فاليريان سنة ٢٨٢ م العلامة بيروس الملقب بأوريجانس الصغير . وهكذا قدم نفسه على مذبح التضحية كثيرون من ابطال الايمان برز من بينهم أبانوب النهيسي المولود في نهيس من اعمال طلخا وتادرس الشطبي وأدريانوس والى انصنا الذى بعد ان جرع كثير من كؤوس الحمام أقبل على الموت بمحض ارادته بعد أن تأكد من دعوة السماء . وابسخيرون القليني صاحب السيرة النقية وشنودة البهنساوي وأباهور السرياقوسي وباسيليوس وتادرس وتيموثاوس شهداء الاسكندرية وغيرهم من يضيق بهم المقام .

القديس يوليوس الاقفهصي : اما ابرز الشهداء المدنيين واكثرهم عملا وانتاجا وتضحية – بلا منازع – فهو القديس يوليوس **الأقفهصي الذى** أقامه الرب حتى لاتذهب دماء شهدائه هدرا أو تترك فتدرج في عالم النسيان . فقد جاء عن هذا الرجل الكامل الغيور انه كان يرافق الشهداء الى الميدان المعد لتنفيذ العقوبة معزيا ومشجعا بكلماته الايمانية وعباراته الحارة القوية وبعد أن تقتص الحكومة من ضحاياها كان يقوم بحمل الجسد أو بجمع الأشلاء المتناثرة ويعمل على تكفينها بالكتان النقي والأقمشة الجديدة التي كان يأتي بها خصيصا لأغراض كهذه . وعندما يفرغ من دفن الجسد أو نقله الى المكان الذى أوصى به الشهيد قبل موته يأخذ في تدوين سيرته وذلك بمساعدة غلمانه الثلثمائة الذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة باللغتين اليونانية والقبطية . وفي معظم الأحيان كان الأقفهصي يقوم بعمل السامري الصالح فيأخذ الى بيته الجرحى الذى عذبوا ولم تكمل شهادتهم فيضمد جراحهم ويطعمهم ويعمل على تخفيف ويلاتهم ولا يطلقهم الا اذا تعافوا .

ونحن مدينين لهذا القديس بكل الأخبار الشهية التي وصلت الينا عن شهداء الحق الأفاضل والذى لولاه لصاروا نسيا منسيا وأخيرا وبعد حياة مرضية حافلة بالخدمات الرسولية الجليلة توجه الرب باكليل الشهادة فصار كواحد منهم وسفك دماءه الطاهرة في اليوم الثاني والعشرين من شهر توت الذى صار عيداً كنسيا لذكرى انتقاله .

دماؤنا فى الخارج : هذا ولم يكتف قياصرة البعليم بما فعلوه بالمصريين فى داخل بلادهم بل عندما نشبت الثورة فى فرنسا بعث مكسيميانوس بالفرقة الطيبيه الى هناك . ولكن قبل أن يشترك رجالها فى أى عمل حربى استدعاهم الطاغية وطلب منهم السجود فى بيت الأوثان فلما رفضوا أوامره شك فى اخلاصهم وأوجس خيفة منهم فذبحهم داخل معسكراتهم وفى مقدمتهم القائد موريس الذى اعدم فى مدينة آجون فسميت فيما بعد باسمه « سان موريتز » وذلك كما أفاد الآب بول دورليان فى الجزء الثانى من كتابه « قديسو مصر» المطبوع بأورشليم سنة ١٩٢٣ .

المراة والشهادة : عندما اشتدت قوة القياصرة وتأججت نيران الشر فى قلوب ولاتهم فساقوا الأبرياء من رعاياهم الى ميادين القتل والعذاب لم تجزع المراة القبطية عند رؤيتها لهذه المجازر الرهيبة أو تتراجع الى الوراء بل تقدمت محتجة على أعمال العنف معلنة ايمانها بالسيد المسيح فاستشهدت فى منف على عهد البابا أومانيوس البطريرك السابع القديسة صوفيا التى نقل الملك قسطنطين رفاتها الى عاصمته الجديدة وبنى عليها كنيسة أجيا صوفيا التى أكمل بنيانها وزخرفتها فيما بعد الامبراطور يوستنيانوس ٥٢٧ — ٥٦٥ م وظلت مفخرة الكنائس فى كل بلاد الشرق حتى حولها السلطان محمد الفاتح الى مسجد سنة ١٤٥٣ م .

كما تحدثت الاسكندرية فى خشوع واجلال عن الجارية الحسناء بوتامينا العفيفة تلميذة أوريجانوس العظيم التى سيقت الى مراجل الزيت المغلى سنة ٢٠٣ م لأنها رفضت التفريط فى عرضها لمخدومها الجبان واعتزت بالمسيح الفادى الذى أعانها وقت الشدة وأراها كيف تكون الديانة المقبولة وقيمة الحياة الطاهرة النقية وقد لحقت بها امها الشهيدة مارسلا فى الوقت نفسه حرقا بالنار فى الاضطهاد السادس .

ويذكر البابا ديونسيوس الرابع عشر فى مذكراته التى بعث بها الى فابيان البطريرك الأنطاكى أنه فى الاضطهاد الثامن الذى اثاره ديسيوس أو داكيوس ٢٤٥ — ٢٥١ م قبض رعاع الوثنيين على عذراء عفيفة كانت قد هرمت وشاخت فى خدمة الرب وأخذوا يضربونها بشدة على فكيها لتنكر المسيح الا أنها صبرت وتجلدت ولم تمكنهم من رغباتهم فلما وقفوا على ثباتها القوها فى النار حتى صارت رمادا . وفى سنة ٣٠٧ م ذهبت ضحية ايمانها فى مدينة الاسكندرية على عهد مكسيمانوس قيصر الفتاة المصرية النبيلة القديسة كاترين التى خلصت عنها نير الوثنية وقبلت المسيح ربا وفاديا

واستشهدت وهى فى التاسعة عشر مضحية بجمالها الفاتن وثقافتها الفلسفية الممتازة وهى التى كرس باسمها دير السيدة العذراء الواقع فى سفح جبل موسى بشبة جزيرة سيناء . وقد تركت العذابات التى تحملتها هذه القديسة أثرا قويا فى نفس فوستينا زوجة القيصر فتنصرت واستشهدت مع القائد بيرفيريوس الذى ذهب معها الى سجن الشهيدة كاترين ليعزياها فى محنتها فرسمت لها طريق الحق والخلاص فتعمدا ونالا اكليل الشهادة .

وتحتل منزلة رفيعة بين الشهيدات المصريات القديسة دميانة الابنة الوحيدة لمرقس حاكم البرلس ووالى الزعفران وكانت قد اعتزلت الحياة برفقة أربعين من العذارى الطاهرات يقضين حياتهن فى النسك والتبتل فلما علمت بارتداد أبيها وتضحيته للأصنام ارضاء لدقلديانوس غضبت وارسلت تلومه بعبارات قوية حتى عدل عن رأيه وأعلن ايمانه بالمسيح ومات مستشهدا . فلما بلغ الطاغية أن دميانة هى التى حرضت والدها على التمسك بالنصرانية أرسل اليها قوة عسكرية تخيرها بين الارتداد أو القتل فرفضت أوامر القائد ورحبت بالموت فى سبيل احتفاظها بالايمان القويم فاستشهدت مع رفيقاتها اللواتى أقبلن على السيف فى اقدام وجراة وتعيد الكنيسة لهن فى الثانى عشر من شهر بشنس وتقام الاحتفالات الدينية فى ديرها الذى لايزال عامرا ببرارى الزعفران .

وان نسينا فلا ننسى الشهيدات المغبوطات القديسة رفقة العفيفة ومورا زوجة القديس تيموثاوس كنيسة برابى من اعمال الصعيد والأم دولاجى التى تحتفظ برفاتها الطاهرة مدينة اسنا وغيرهن من النساء الفضليات اللواتى لم يستطعن البقاء حتى يأتى اليهن المسيح بل أسرعن مصابيحهن بالدماء وسرن الى حيث يقيم العريس ، .

واستشهدت وهى فى التاسعة عشر مضحية بجمالها الفاتن وثقافتها الفلسفية الممتازة وهى التى كرس باسمها دير السيدة العذراء الواقع فى سفح جبل موسى بشبة جزيرة سيناء . وقد تركت العذابات التى تحملتها هذه القديسة أثرا قويا فى نفس فوستينا زوجة القيصر فنتصرت واستشهدت مع القائد بيرفيريوس الذى ذهب معها الى سجن الشهيدة كاترين ليعزياها فى محنتها فرسمت لها طريق الحق والخلاص فتعمدا ونالا اكليل الشهادة .

وتحتل منزلة رفيعة بين الشهيدات المصريات القديسة دميانة الابنة الوحيدة لمرقس حاكم البرلس ووالى الزعفران وكانت قد اعتزلت الحياة برفقة اربعين من العذارى الطاهرات يقضين حياتهن فى النسك والتبتل فلما علمت بارتداد أبيها وتضحيته للأصنام ارضاء لدقلديانوس غضبت وارسلت تلومه بعبارات قوية حتى عدل عن رأيه واعلن ايمانه بالمسيح ومات مستشهدا . فلما بلغ الطاغية أن دميانة هى التى حرضت والدها على التمسك بالنصرانية أرسل اليها قوة عسكرية تخيرها بين الارتداد أو القتل فرفضت أوامر القائد ورحبت بالموت فى سبيل احتفاظها بالايمان القويم فاستشهدت مع رفيقاتها اللواتى أقبلن على السيف فى اقدام وجراة وتعيد الكنيسة لهن فى الثانى عشر من شهر بشنس وتقام الاحتفالات الدينية فى ديرها الذى لايزال عامرا ببرارى الزعفران .

وان نسينا فلا ننسى الشهيدات المغبوطات القديسة رفقة العفيفة ومورا زوجة القديس تيموثاوس كنيسة برابى من أعمال الصعيد والأم دولاجى التى تحتفظ برفاتها الطاهرة مدينة اسنا وغيرهن من النساء الفضليات اللواتى لم يستطعن البقاء حتى يأتى اليهن المسيح بل أسرعن مصابيحهن بالدماء وسرن الى حيث يقيم العريس ، .

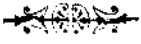

(٣)

شهداء من الأجانب

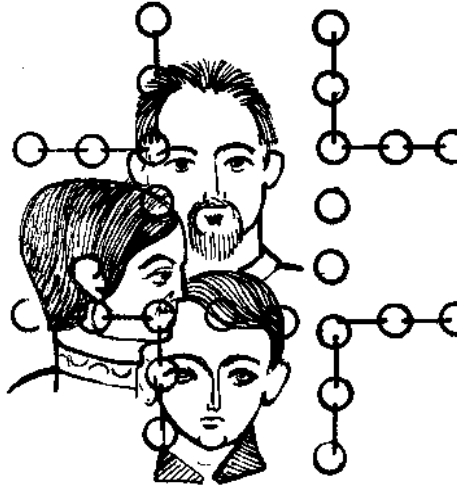

(٣)

شهداء من الأجانب

ان المسيحيين المصريين كأعضاء حية فى كنيسة المسيح الجامعة لا يتحيزون لجنسية ولا يؤمنون بالعنصرية بل يعتقدون فى قرارة نفوسهم بوحدة الكنيسة التى هى رعيه واحدة لراع واحد وانه ليس بداخلها فريق لبولس وآخر لأبلوس بل المسيح الكل وفى الكل كو ٣ : ٤ ، كو ٣ : ١١ .

وان كان الأقباط يمجدون شهداءهم الوطنيين فهم نفس الوقت يتبهون فخرا واعجابا بالقديسين **الأجانب** حتى أنهم لشدة وعيهم المسيحى يجعلون لمارجرجس الشهيد الكبادوكى المقام الأول بين شهدائهم ولا ينازعه هذا الامتياز سوى القديس مركوريوس الشهير بأبى السيفين وقد كان الأول يونانيا والآخر رومانيا وعلى اسميهما بنيت معظم الكنائس والأديرة فى البلاد المصرية . ويأتى بعدهما الشهيد فيلثاؤس المشرقى ومار يعقوب المقطع والشماس رومانوس وغيرهم من أبطال الايمان .

شهداء العصر المسيحى : شعرت الكنيسة بمزيد من الراحة والطمأنينة على أثر مرسوم ميلانو الذى أذاعه قسطنطين سنة ٣١٣ م وأخذت تعمل على جمع شتاتها وتوحيد صفوفها واصلاح أوضاعها الداخلية ولكن قبل ان يكتمل سرورها فوجئت بالبعض من بنيها يخرجون عليها وينادون بتعاليم غريبة لا تتفق مع ايمانها المبارك ويعملون على اقلاقها بشتى الوسائل .

وكان فى مقدمة أولئك المتمردين آريوس القس الليبى الذى اشعل نيران الفتنة الدينية فى مدينة الاسكندرية فامتدت السنتها الى داخل البلاد وعبرت منها فيما بعد الى جميع الاقطار الاخرى . وبعد أن فصل المجمع النيقاوى فى القضية الآريوسية ازداد اتباعها حماسا وملأوا الجو صياحهم النفاقى الذى تطور الى معارك دامية ذهب ضحيتها الوف من اتقياء الأرثوذكسيين الذين رفضوا أن يأكلوا من خرنوبهم الكريه ، ولما استأصل البابا اثناسيوس جذور هذه البدعة الاثيمه واكمل خلفاؤه تطهير الأرض من زوانها عز على شيطان الانقسام أن يترك الكنيسة تنعم بشىء من الاستقرار والهدوء فدفع اليها نسطور بطريرك القسطنطينة الذى اراد احياء الآريه فى صورة جديدة فعادت المنازعات وتضاعفت المشاكل واخذت الكنيسة تعبر مرحلة دقيقة انتهت بانعقاد المجمع الخليكدونى سنة ٤٥١ الذى حدد عقيدة زائفة لم تقبلها الكنائس الشرقية وفى مقدمتها كنيسة الاسكندرية فانقسم المسيحيون الى حزبين متضادين وفريقين متنافرين يعمل كل منهما عكس الآخر .

ولما كانت حكومة الملك بجانب الخاليكدونى فقد استطاع بقوة القيصر أن يستولى على الكنائس ويغتصب الأديرة ويبطش بكل من حاول الوقوف فى طريقه . وأول شهداء الارثوزكسيين فى هذه المعارك المذهبية القديس مكاريوس اسقف ادكو الذى عاد من المجمع بعد نفى البابا ديسقوريوس فوجد الشماس برتوريوس قد تنكر لسيده وصار بطريركا للاسكندرية وعندما اراد معاتبته على هذه الخيانة ركله الأسقف الدخيل بقدمه فسقط ميتا لأنه كان شيخا طاعنا فصار بذلك أول شهداء الايمان الارثوذكسى ولما ملك لاون الشراكى سنة ٤٥٧ م بعد وفاة مركيانوس أراد أن يكون محايدا ويترك الحرية للأرثوذكسيين والملكيين على السواء ليعتقد كل منهما بما يريد الا أن لاون أسقف روما حرضه على مخالفيه الذين ازدروا بطومسه المشئوم فتشدد عليهم ونفى البابا تيموثاوس الثانى ٤٥٥ — ٤٧٧ م . الذى اقيم بعد نياحة القديس ديسقوروس المجاهد وقتل من الارثوذكسيين فى مدينة الاسكندرية وحدها ثلاثين الفا : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٣٥ . وقد واصل الروم طغيانهم وأرادوا ارهاب المصريين بقواتهم العسكرية فجعلوا من البطريرك الملكى واليا واسقفا معا فكان يغير على الكنائس والاديرة برجاله المسلحين فينهب امتعتها ويبطش ببسطاء المؤمنين وهم يأتون شعائر الصلاة والتعبد لله .

شهداؤنا فى الاحتلال الفارسى وبعد دخول العرب :

وحينما عمت الفوضى وساءت الأحوال وعلم الفرس بالهوة التى غرقت فيها بين القبط والروم أغاروا على البلاد بجيش عرمرم سنة ٦١٤م فتمكنوا من احتلالها فى وقت قصير بعد معركة هزيلة .

ولما دخل القائد مدينة الاسكندرية اراد أن يلحق الهزيمة بشبابها حتى لا يقووا على التحرر من ربقته فكتب يدعوهم لمقابلته ممنيا اياهم بأحلام جميلة وهو يبطن لهم تهلكة وشرا حتى اذا ما تكامل عددهم فى المكان المعين حاصرهم برجاله وقتل من نفوسهم البريئة ثمانين الفا : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٩٧. وقد استطاع هرقل أن يسترد البلاد من الفرس سنة ٦٢٨ م الا انه لم يغير من سياسته شيئا بل سلك بموجب خطة اسلافه التى رسمها لهم القيصر مركيان حتى ظهر المسلمون فانتزعوا البلاد من أيديهم سنة ٦٤٠ م .

ومع ان العرب الفاتحين نشروا العدالة بين الناس وعاملوهم بالتى هى أحسن الا أن الأقباط لم ينجو من سيوفهم فاستشهد عدد من سكان نقيوس ورهبان وردان فى أثناء المعارك التى دارت بينهم وبين الروم .

كما مات فى الجوف الشرقى ورشيد وسمنود وبلهيب والبشمور عددا كبير جدا من أراخنة القبط وزعمائهم الذين اشتبكوا فى معارك دامية مع بعض الولاة الذين وصفهم المؤرخون بالقسوة والحماقة وذلك دفاعا عن الشرف والكرامة وحقوقهم كمواطنين . وفى عهد المماليك اضطر عدد من الأقباط تحت ضغط الحكام وارهابهم أن يجحدوا الايمان المسيحى ولكن عندما استيقظت ضمائرهم قدموا من القرى الى القاهرة رجالا ونساء وطافوا شوارع المدينة فى مظاهرة صاخبة يعلنون ايمانهم بالمسيح فقبض عليهم الرعاع وساقوهم الى القاضى الذى افتى بمعاملتهم كمرتدين فأعدم بالميدان المواجه لمدرسة الملك الصالح . وسيقت النسوة الى سفح الجبل حيث حزت رؤوسهن عند القلعة سنة ١٣٨٩م فهاج عقلاء المواطنين على هذا العمل الوحشى ونقموا على القاضى الذى أصدر أحكاما جائرة كهذه : تاريخ الكنيسة القبطية ص٥٩٩ .

وفى الساعة السادسة من يوم الاثنين الثالث من شهر كيهك ١٢٢٩ استشهد رجل الله الصالح القديس صليب الهورى بعد جهاد عنيف من اجل الاسم الكريم الذى دعى علينا فضرب عنقه أمام المدرسة النجمية الصالحية التى بناها الملك الصالح نجم الدين بجوار منية الصالح بالجمالية بالقاهرة المعزية وذلك كما جاء فى كتاب السنكسار رقم ١٠٦ بالدار البطريركية .

وفى ٢ يونيو سنة ١٧٧٨م استشهد على يد الغز كبير أراخنة القبط المعلم لطف الله أبو شاكر ناظر دير مار انطونيوس فى عهد البابا يؤانس الثامن عشر بعد أن اتهم بمناصرة اسماعيل بك ضد المملوكين ابراهيم ومراد بك .

ولما انسحب الفرنسيون من مصر قبض الوالى محمد باشا ابو مرق على ثلاثة من وجهاء الأقباط هم المعلم انطون أبو طاقية والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات وبعد أن عذبهم كثيرا استشهدوا على يديه بقطع رؤوسهم فى ١٣ صفر سنة ١٣١٧ — ٨ بؤونة ١٥١٨ — ١٨٠٢ م .

ويقول الجبرتى الذى روى هذا الحادث انه فى يوم الخميس ٢٧ محرم سنة ١٢١٨ هـ . قبضوا على المعلم ملطى من اعيان كتبة القبط ورئيس ديوان الحقانية على عهد الفرنسيين ورمى براسه عند باب زويلة .

واذا استثنينا حوادث السويس وما قام به رعاع المدينة ضد مواطنيهم فى يوم الجمعة ٤ يناير سنة ١٩٥٢م . يكون المعلم سيدهم بشاى كاتب الديوان بمحافظة دمياط الذى استشهد على أيدى رعاع المدينة فى ٢٥ مارس سنة ١٨٤٤ آخر من قدم نفسه على مذبح التضحية دفاعا عن دينة وشرفه .

شهداء الرهبان فى عصور مختلفة :

لم تكن الشهادة قاصرة على سكان المدن والقرى الذين يعيشون على مقربة من ديوان الحاكم بل تجاوزتها الى الأديرة والجبال فذهب سيف السفاح الغاشم يقرع أبواب المناسك ويهاجم الحبساء بين المغائر وشقوق الأرض فظفر بكثير منهم فى أوقات مختلفة . وأول من استشهد من آباء البرية

المعروفين هو القديس موسى الأسود الذى كان لصا وقاتلا ثم تاب وترهب ورسم قسا من البابا تاوفيلوس الاسكندرى فهذا اذ راى البربر مقبلين نحوه بسيوفهم أشار عليه بعض الأخوة بالهرب فلم يقبل بل صمد فى مكان وهو يقول من قتل بالسيف فبالسيف يقتل فاقترب من الغزاة وبطشوا به مع سبعة اخوة وتعيد الكنيسة لذكراهم فى الرابع والعشرين من شهر بؤونة . وفى عهد الامبراطور تاوذيوس الثانى استشهد فى برية شيهيت تسعة واربعون راهبا من الشيوخ داهمهم البربر وهم فى وداع رسول القيصر وابنه ذيوس وكان قد جاء لاستشارة خاصة بزواج العاهل البيزنطى من امراة غير زوجته حتى ينجب نسلا فلما راى الصبى ذيوس أن الملائكة قد هبطت من السماء وبدأت بوضع الأكاليل على رؤوس الشهداء اندفع مع أبيه نحو البربر واستشهدا على أيديهم .

ويذكر سنكسار ٢٦ بابه سبعة من رهبان جبل القديس انطونيوس استشهدوا معا على أيدى البربر . ولما اغار الفرس على مصر سنة ٦١٤م قتلوا بوشاية بعض المواطنين من نقيوس سبعة آلاف راهب وضربوا ٦٢٠ ديرا فى ضواحى الاسكندرية ماعدا اديرة وادى النطرون : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٩٧ — ٣٩٨ .

وفى السابع عشر من شهر أمشير رسمت الكنيسة عيدا للراهب مينا الأخميمى الذى استشهد قرب الأشمونين على أيدى جماعة من الأعراب بعد أن شرح لهم جوهر عقيدته المسيحية . وفى خلافة العاضد قبض وزيره شيركويه سنة ١١٦٠م . على راهب من دير أبو مقار وامره بجحد دينه وعندما رفض مطلبه امر بقتله وحرق جثمانه : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٥٤٥ .

وفى أيام الملك المنصور سنة ١٣٨١ شوهد راهب يعظ وأمامه رجل وثلاث نساء يشجعونه على الاستشهاد فقبض على الخمسة وقطعت رؤوسهم وأحرقت أجسادهم : تاريخ الكنيسة ص ٥٩٩ .

ولعل آخر مأساة شهدتها الأديرة كانت فى سنة ١٤٨٤ عندما قام عربان الصعيد ونهبوا ديرى الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا وذبحوا كل من فيهما من الرهبان وعندما أعاد البابا غبريال السابع تعميرهم هجم عربان بنى عطية على دير الأنبا بولا واخربوه مرة أخرى وشنقوا به راهبا : ابن الراهب ص ٢٤٣ .

وجميل بنا أن نختم شهداء الرهبان بالأب الامين المجاهد الراهب يوحنا القليوبى أحد رهبان دير الأنبا بيشوى الذى استشهد بعد عذاب طويل فى ٦ ديسمبر سنة ١٥٨٢ فحملت الكنيسة جسده الطاهر ودفنته بحفاوة زائدة فى كنيسة الست بربارة وكتب قصته الأنبا اثناسيوس أسقف قوص بكتاب الميرون الموجود بمكتبة الدار البطريركية رقم ١٠٦ .

شهداء مجهولون :

هذا وان كانت الكنيسة تعيد لشهدائها الذين دونت أسماؤهم فى الكتب التاريخية فان هناك الوفا من الشهداء الأفاضل ماتوا غدراً ولم تصل اخبارهم الينا ولكن أسمائهم المجيدة خلدت فى سفر الحياة الأبدية عندما نقشتها الملائكة بحروف بشعة وهى تمشى من خلفهم لتشد أزرهم وتبارك جهادهم حتى يكملوا كفاحهم فى شجاعة وغبطة .

ومازالت الكنيسة تقدم من وقت الى آخر عددا من الرجال الذين يزودون عن حريتهم ويعتزون بعقيدتهم ولايقبلون الضيم على انفسهم .

هذا وليست الشهادة قاصرة على اراقة الدماء ! فهناك رجال ماتوا حتف انفسهم ولكن قضوا حياتهم معذبين عذابا نفسيا دونه عذاب السيف الذى يضع حدا لانين المتألمين .

وامثال هؤلاء البررة موجودون فى كل زمان ومكان فترآهم يعملون كالنحل ويبتسمون مع زنابق الحقل ويقضون دون أن يقف الناس على أوجاعهم الدفينة .. !!

(شهداء من حارة السقايين)

شهداء من حارة السقايين*

كان عدد سكان وادى النيل فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر لا يزيد عن الثلاثة ملايين بينهم ما يقرب من مائتى ألف نسمة من الأقباط أصحاب البلاد الأصليين الذين تضائل عددهم بمرور الأيام الى هذا الرقم الهزيل بينما أفادت الوثائق العربية القديمة أن الذين دفعوا الجزية منهم فى ولاية عمرو بن العاص كانوا ستة ملايين ماعدا الشيخ الفانى والمراة والصبى الذى لم يحتلم .

أما سكان القاهرة فى ذلك الحين فكانوا لايتجاوزون الأربعين الفا يعيش الأقباط منهم فى أماكن معينة كحارة السقايين وقنطرة الدكة وباب البحر وحارة زويلة وجامع الأحمد الذى شيد به الجنرال يعقوب القبطى حصنه الشهير فى عهد الاحتلال الفرنسى حتى ينجو بقومه الذين تعرضوا لبطش حرافيش القاهرة بايعاز من عمال الدولة العثمانية لا لشىء سوى أن الأقباط يشتركون مع الفرنسيين فى دين واحد !

كما قطن السوريون والفرنسيون وغيرهم من الأجانب وأتباعهم مذهبيا فى درب الجنينة من أعمال الموسكى حيث لايزال كنائسهم فى هذه المنطقة الى يومنا هذا وفى مقدمتها دير الاباء الفرنسيكان الذى شيد لأول مرة فى مكانه سنة ١٦٣٢ .

هذا ولكثرة اقباط حارة السقايين واهميتهم فقد اعارها البابا كيرلس الرابع عناية خاصة فأنشأ بها مدرستين واحدة للبنين وأخرى للبنات وكان يكثر من التردد عليهما . كما أستصدر أمرا من الخديوى محمد سعيد باشا

---

* مالة المحبة ١٩٦٩ .

فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ببناء كنيسة فيها برسم الملاك غبريال ولعدم وجود مكان ملائم وقتئذ فقد اقام الاقباط شعائرهم بصفة مؤقتة فى احد المنازل التى تملكها البطريركية ولكنهم ظلوا على هذه الحالة اكثر من عشرين عاما واخيرا شرعوا فى هدم المنازل وبناء الكنيسة فاكملوها على الوضع الحالى سنة ١٥٩٧ ش وذلك بهمة البابا كيرلس الخامس .

ويرجع السر فى تدهور عدد سكان البلاد فى زمن الاحتلال التركى لاذلال الفلاحين وارهاقهم بالضرائب الفادحة ونهب خيرات بلادهم واهمال وسائل الرى والنظم الصحية مما ترتب عليه استيطان الاوبئة الفتاكة التى كانت تجتاح العباد من حين لاخر بضراوة وقسوة مع استمرار الفتن الداخلية التى كان المماليك لا يفترون عن اشعال نيرانها للوصول الى اهدافهم السياسية او تحقيق اغراضهم العسكرية .

نشاة المعلم انطون :

فى هذه الأيام القاسية التى أضنت مصر بحوادثها الشائنة ولد المعلم انطون سليمان ابو طاقية بحارة السقايين فى دار كبيرة يدل تنسيقها المعمارى ومنظرها الجميل على امجاد اصحابها وما كانوا ينعمون به من ثراء وكرامة فى المجتمع المصرى .

وقد كان المعلم سليمان يعمل فى تجارة الطواقى وهى غطاء الراس الشعبى فى ذلك الحين فمنهم من كان يلبسها مجردة ومنهم من كان يضع حولها عمامة كما هو الوضع الحالى فى الريف المصرى وقد استطاع هذا الأرخن الحازم أن يجمع من تجارته هذه ثروة طائلة تركها بعد وفاته لصاحب الترجمة الذى ورث معها اللقب الذى صار علما لابيه من صناعة الطواقى .

وعندما دخل نابليون البلاد المصرية فاتحا سنة ١٧٩٨م اخذ يبحث عن بيوتات المال ليستعين بأموالها على تموين حملته الاستعمارية فأتى بالمعلم انطون وعينه عضوا بمجلس التجارة ثم نائبا لحاكم بلبيس فمنظما للضرائب مسئولا عنها .

القاء القبض على المعلم أنطون :

رفض المعلم انطون التعاون مع سلطات الاحتلال الفرنسى وأبى أن يرهق الفلاح المصرى بالضرائب التى أرادها نابليون بل رفع عن كاهله كثير منها فنجم عن ذلك عجز فى ميزانية خزائن المستعمرين فالقوا القبض عليه وزجوا به فى أعماق السجون فقبل ذلك عن طيبة خاطر وفضل أن يذل مع شعبه على ان يكون جلادا لقومه وعميلا لأعداء بلاده . الا أن نابليون لم يكتف بهذ

العقوبة بل أرغم المعلم أنطون وهو فى سجنه على سداد النقص الذى أصاب الميزانية من جيبه الخاص ومن ثم أفرج عنه ورده الى منصبه حتى يتمكن من استغلاله مرة أخرى .

زيارة وارهاب :

عندما ساءت حالة الفرنسيين فى مصر وحاصرهم الاسطول الانجليزى عسكريا واقتصاديا وشعر نابليون بالحاجة القصوى الى المال اقتحم فجأة دار المعلم انطون فى اواخر سنة ١٧٩٩ ومعه شرذمة من أركان حربه وجنده وسأله عن خزينة امواله فلما أراه اياها سطا عليها الفاتح وأخذ منها بنفوذه وبطشه مبلغا يقدر بمليون وثلاثمائة الف فرنك ولكى يبرر صنيعه أمام المواطنين اعتبر هذه الأموال دينا فى عنقه وكتب بها صكا وانصرف الى مقر قيادته .

وتقول رواية زائفة أن نابليون عندما ذهب الى المعلم أنطون وسأله معونة مالية خلع المعلم طاقيته من فوق رأسه وأخذ يكيل بها الذهب للقائد الفرنسى حتى قال له يكفى ومن ثم سمى بأبى طاقية وهذه قصة مختلقة ليس لها ما يؤكدها اطلاقا ولو حدثت لما سكت عنها الجبرتى الذى دون فى تاريخه توافه الأمور مع اعظمها شانا كما أن لقب أبى طاقية كان ملازما للمعلم سليمان منذ ظهوره فى المجتمع كتاجر .

فلما اشتهر انطون بين أولاده لازمته هذه التسمية كما هو واضح من حجج املاكه التى اوقفها على الدار البطريركية وهى منازل بدرب العجان من حارة السقايين تحمل أرقام ١٣ ، ١٥ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ويرجع تاريخ وقفتها الى ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٠٩ قبل دخول الفرنسيين بثلاث سنوات .

الحفيـــد يطالب :

بعد مرور خمسين عاما على هذه القضية قام ابراهيم عوض أنطـــون بمطالبة الحكومة الفرنسية بهذه الأموال الجسيمة التى آغتصـــبها نابليون بونابرت من جده عن طريق المسيو كليمان المحامى الفرنسى الشهير ثم سافر الى باريس لأجل هذه الغاية وتشرف بمقابلة الامبراطور نابليون الثالث فى ٢١ فبراير سنة ١٨٥٤ وحظى بشرف المثول بين يديه مرة أخرى فى ٢٠ مايو سنة ١٨٥٥ م وبعد مفاوضات طويلة كتب العاهل الفرنسى كتابا بخط يده الى الحفيد القبطى يعتذر فيه عن تسديد هذا المبلغ لسقوطه قانونيا بمرور زمن استحقاقه ولأن الحكومة الفرنسية اعتبرته ضريبة فرضت على الأقباط وقام جدكم بسدادها ثم أمر له بأربعة آلاف وخمسمائة ليرة لما تكبده من نفقات وانعم عليه بفرمان الرعوية الدائمة . ومن ثم عاد المعلم ابراهيم بهذا المبلغ الضئيل أما فرمان الرعوية فقد تنازل عنه عند قدومه الى أرض الوطن لأنه كان شديد الاعتزاز بقوميته المصرية .

جلاء الفرنســـيس :

بعد أن غادر الفرنسيون مصر وأخلوها تماما لم يفكر أحد من رجالاتها فى استقلال البلاد وتحريرها من نير الاستعمار التركى لأن معظم أقطابها كانوا من جنس عثمانى وفئات أخرى أما فلاحوها فلم تكن لهم المقدرة على مقاومة الحاكم لأن اسلامبول أضعفتهم بشتى الوسائل وجعلت منهم شعبا مغلوبا ليس له الا استقبال الوالى بالبيارق والطبول عند قـــدومه من دار الخلافة والسمع والطاعة لكل فرمان يصدره الباب العالى حتى ولو كان مجحفا بحق الأهالى لهذا عاد اليها العثمانيون كوحوش ضـــارية وأخذوا يتصيدون لها العلل وينهشون من جسمها العليل حتى قضوا على كل حركة فيهـــا .

استشهاد اعلام الكتبة :

بينما كانت مصر صريعة تحت أقدام الطغاة من أتراك ومماليك يجلدونها بسياط عساكر من الولاة والأرناءوط قبض الباشا فى ٩ صفر سنة ١٢١٧ هـ الموافق ١٥ يونيو سنة ١٨٠٢ م على ثلاثة أشخاص من مشاهير النصارى وهم المعلم أنطون أبو طاقية والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات

معلم الديوان سابقا وأمر باعدامهم فورا . وفى الحال ارسل الدفتردار فختم على دورهم وأملاكهم ثم عاد فنقل أمتعتهم على الجمال الى بيته لتباع فى المزاد العلنى وبدأ أولا بنقل ممتلكات أنطون أبى طاقية وكانت مجموعة كبيرة من الثياب والأمتعة والمصاغ والجواهر والساعات والجوارى من سود وحبوش واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام وقد ذكر الجبرتى هذا الحادث المشئوم فى ص ٤٩٠ من كتابه ولكنه لم يذكر سببا يبرر هذه المذابح وكان من دأبه أن يعلق على كل قصة .

من هو الباشا السفاح :

اتفق المؤرخان السيدة بوتشر والاب منسى يوحنا كل منهما فى كتابه على أن يوسف باشا الصدر الأعظم قبض على ثلاثة من اكابر القبط وقتلهم بعد أن اتهمهم بمساعدة الفرنسيين على الأتراك .

ويقول الأستاذ توفيق اسكاروس فى مؤلفه نوابغ الأقباط فى القرن التاسع عشر أنه عندما رحل الفرنسيون عن مصر وولى محمد على باشا أبو مرق قبض على ثلاثة من عظماء القبط وقتلهم وهم المعلم أنطون أبو طاقية والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات .

ولكن يفهم من الواقع التاريخى الصحيح أن مصر بعد جلاء الفرنسيس عنها ظلت بلا حاكم تركى حتى بعثت اليها الاستانة بيوسف باشا الصدر الأعظم ليستلم زمام الأحكام فى القاهرة باسم جلالة السلطان ريثما يتم تعيين الوالى الجديد وبعد أن باشر الحكم قليلا عمل على تولية صديقه محمد خسرو باشا وكتب فى ذلك الى الباب العالى فأجابه الى طلبه وتولى المذكور حكم مصر فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٠١ م واستمر فى منصبه حتى عزله الجند فى ٢ مايو سنة ١٨٠٣ وبما أن مقتل الشهداء وقع فى ١٥ يونيو سنة ١٨٠٢ فيكون بلا شك هو الباشا الجلاد الذى أشار اليه الجبرتى وسرد حوادثه البشعة وما كان يقوم به من ظلم وارهاب .

وهناك جلاد آخر وهو طاهر باشا الذى خلفه فى الولاية وقام بمهامها ستة وعشرين يوما فقط قتل فيها المعلم ملطى قاضى الديوان الخاص وارتكب من الفظائع ماتقشعر منه الابدان وترتعد الفرائص .

مصير الظالمين :

بعد أن عاث محمد خسرو فساد فى ارض مصر سنة وثلاثة اشهر وواحد وعشرين يوما كان فيها كما يقول الجبرتى سىء التدبير عديم التصرف

محبا لسفك الدماء ثار عليه الجنـد أخيرا فانهـزم أمامهم وولى هاربا الى جزيرة بدران بحريمه واولاده ومنها الى قليوب والمنصورة الى أن غادر البلاد نهائيا فلما سمع الثوار بهروبه استولوا على بيته واشعلوا النار فى متاعه بعد ان نهبوا منه كل ما راق فى أعينهم .

وأما طاهر باشا الذى خلفه فى الولاية فقد ذهب اليه اثنان من مقدمى الجند هما اسماعيل اغا وموسى آغا وطالباه بمرتبات العسكر فأنكر عليهما ذلك ولما الحا عليه فى الطلب أغلظ لهما العبارة فهجما عليه وقتلاه ورميا رأسه من الشباك وبقيت جثته الى اليوم التالى لم يلتفت أحد اليها ثم دفنت اخيرا على مقربة من بركة الفيل ويقول الجبرتى الذى أورد هذه الحوادث انه لو طالت ولاية طاهر باشا أكثر من ذلك لأهلك الحرث والنسل .

مجتمع رهيب :

كان المصريون ابان الحكم التركى يعيشون فى جو عاصف مخيف ملىء بالدسائس والتهم الباطلة وكانت حبال المشانق لاتكف عن دق أعناق الرجال فى ميدان الرميلة وباب الخرق وباب زويلة وأماكن اخرى من القاهرة التى شهدت من حوادث التعذيب وسفك الدماء قصصا تضطرب النفس لدى سماعها .

ولم يكن فى ذلك العهد المظلم قضاء او تحقيق بل كانت الأحكام تصدر ارتجالا وتنفذ فورا وفقا لادارة الحاكم المتوحش الذى كان لقسوته يشرف بنفسه أحيانا على تنفيذ العقوبة وعندما يكون بعيدا ويأتون اليه برأس غريمه يطرب عند رؤيتها ويقوم بسلخها او تشويه معالمها تشفيا وانتقاما . ولكى يحطم الحاكم نفسية شعبه ويملاه فزعا ورعبا كان يعرض رؤوس قتلاه فى الميادين العامة وابواب المدينة وموارد المياه والطرق المسلوكة فيراها المواطنون على اختلاف أعمارهم فيمتلئون خوفا وجزعا . ونحن مدينين للجبرتى المؤرخ فانه على الرغم من موقفه السلبى من النصارى فقد استطاع من الحوادث التى عاصرها أن يرسم صورة واضحة لذلك المجتمع الدموى وما كان عليه الحاكم الأحمق وعساكره الجياع الى السلب والنهب وسفك الدماء فيقول فى ص ١١٥ من كتابه المطبوع حديثا ان ابراهيم بك قبض على ابراهيم أغا ببيت المال وضربه بالنبابيت حتى مات والقاه فى النيل ولم يعلم لذلك سبب وفى ص ١٩٣ أن حمزة كاشف المعروف بالدويدار اتهم نصرانيا روميا مع حريمه فقبض عليه وعذبه أياما ثم قلع عينيه وأسنانه وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات وفى ص ٤٦٤ يتحدث عن قطع رأس مصطفى الطاراتى بين المفارق بباب الشعرية وكيف تركوه مرميا تحت الارجل وسط الطرق وكثرة الزحام

ثلاث ليال . وفى ص ٥٨٣ يذكر المؤرخ أن الباشا وجد شخصا يشترى طربوشا قديما من سوق العصر فاتهمه بأنه يشترى الطرابيش للاخصام ورمى رقبته عند باب الخرق ظلما . وقال عن العسكر أن الواحد منهم كان يستأجر حمارا وعندما يذهب به بعيدا عن الناس يقتل المكارى ويذهب بالحمار فيبيعه فى ساحة الحمير ثم ينصرف الى مكانه ص ٤٦٣ وفى ص ٧٢٠ يقول ان جماعة منهم نزلوا بخيولهم فى مزارع بولاق وجزيرة بدران فأتوا عليها ثم انتقلوا الى منية السيرج والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية فأكلوا زروعات الناس وخطفوا مواشيهم وفجروا بالنساء واقتنوا الأبكار ولاطوا بالغلمان وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم . ولشدة قهر الناس من قبح افعالهم تمنوا مجىء الأفرنج من أى جنس كان وزوال هذه الطوائف الخاسرة .

الجانب المظلم من تاريخ الجبرتى :

الجبرتى ١٧٥٤ — ١٨٢٦ نسبة الى جبرت وهم مسلمو زيلع من أعمال اثيوبيا وقد ولد بالقاهرة التى هاجر اليها جده الأعلى ودرس فى الأزهر واجتهد فى تحصيل بعض العلوم الأخرى ولكنه لم يتحرر بعلمه شأن غيره من رجال الأدب الذين كلما ارتقت مداركهم سمت عقولهم ونضج تفكيرهم الانسانى النبيل بل كان مستعبدا لعقلية متخلفة وتعصب بغيض فلم يعرف فى تعبيره عن المصريين سوى مسلم ونصرانى ومؤمن وكافر فكان بأسلوبه هذا يدعو الى التفرقة بين ابناء الأمة الواحدة ويمهد له بتحيزه اضطهاد المسيحيين وحرمانهم من كافة حقوقهم المدنية واعتبارهم كفرة لادين لهم كما كان يندد بتسامح بعض شيوخ الأزهر ويتهكم على علاقاتهم الودية مع النصارى وما يبدونه نحوهم من تسامح واخاء وكأنهم أقدموا على فعلة نكراء : وقد نرى شيئا من هذا واضحا فى ترجمة الشيخ شمس الدين المعروف بأبى الأنوار اذ يقول عن الجبرتى : كان اذا زاره جماعة من اهل الذمة أو المباشرين « الأقباط » وقبلوا يده فانه بعد انصرافهم يغسل يديه بالماء والصابون لازالة اثر افواههم ويقول ايضا آن بعض أعاظم المباشرين من الأقباط توقف له فى أمر فأحضره ولعنه وسبه وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ولم يراع أميره وهو اذ ذاك أمير البلد ولما شكا الى مخدومه ما فعل به قال له « وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا !! ويبدى الجبرتى اعجابه بالشيخ الذى ضرب النصرانى وبالأمير الذى لم يسمع لشكواه ويقول « فرحم الله عظامهم » .

وقد ظهر حقد هذا الغريب الجنس فى الأمر الذى أصدره الوالى فى غرة جمادى الأولى سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ٩ مارس سنة ١٨١٨ م فصاغه حسب تعبيره الخاص قائلا « فيه نودى على المخالفين للملة من الأقباط

والاروام بأن يلزموا زيهم من الازرق والأسود ولا يلبسون العمائم البيض » وزاد عليه قوله لأنهم خرجوا عن الحد فى كل شىء ويتمممون بالشـــيلان الكشميرى الملونة والغالية فى الثمن ويركبون الرهوانات والبغال والخيول وامامهم الخدم بأيديهم العصى يطردون الناس عن طريقهم ولا يظن الرائى لهم الا انهم من اعيان الدولة ويلبسون الاسلحة وتخرج الطائفـــة منهم الى الخلاء ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق والرصـــاص وغير ذلك واخيرا يبصم عليه بحقده الدفين فيزيله قائلا فما احسن هذا النهى لو دام ؟

ومن المؤسف جدا انه عندما ذبح خسرو باشا وجوه كتبة الاقباط وفتك طاهر باشا بالمعلم ملطى لم يحرك الجبرتى ساكنا لهذه الأعمال الوحشية ولم يعلق عليها بأية كلمة وهو الذى راينا قلبه يرق لكثيرين من ضحايا العهـــد التركى من غير المسيحيين ويقول انهم قتلوا ظلما . وهكذا سكت عن مظالم حسن باشا الذى احصى بيوت النصارى وصادر ممتلكات أعيانهم وأمرهم أن يغيروا أسماءهم التى على اسماء الأنبياء .

صمت الجبرتى عن هذا كله وهو الذى يشيد فى كتابه بأعمال النجاشى الذى لا يفرق فى بلاده بين مواطن وآخر وكيف يعيش أبناء جلدته هناك فى حرية وعدالة وسلام وكان عليه أن يذكر القول المأثور عن عمر بن الخطاب وهو أن كان كسرى يأمر بالعدل فنحن أولى بالعدل من كسرى .

•

هذه صورة واضحة للمجتمع المصرى فى عهد العثمانيين وبدء حـــكم محمد على ومدى ما وصل اليه تفكير الحاكم والمحكوم والجاهل والمتعـــلم فلا عجب عندما نقرأ عن مقتل انطون أبى طاقية وابراهيم زيدان وعبد الله بركات والمعلم ملطى وغيرهم من المواطنين اقباطا كانوا أو مسلمين لأن الحاكم كان مملوكا يباع أو يهدى والمؤرخ زيلعى الأصل ولا يخلو من جنسه سوق النخاسة . والآن نختتم حديثنا بكلمات ثلاث نسوق الأولى منها فى حـــق ويقين الى رواد الوطنية والعدالة فى بلادنا كلما تجولنا بين ربوع التاريخ آزداد تقديرنا لهم واجلالنا لشخصياتهم النادرة فهم الذين انتزعوآ الحكم من الأجانب وأحفادالاترك والأرناوط واسدلوآ ستاراً كثيفا على كل عهودالماضى وجعلوامصر يحكمها بنوها فى مساواة وعزة وكرامة فلا عنصرية ولا مذهبية ولا اشراف ولا عبيـــد .

والثانية نهديها الى روح الضابط التركى الهمام عثمان بك لموقفه الانسانى النبيل من نصارى القاهرة اثناء حرب العثمانيين مع الفرنسيين فانه عندما أمر ناصف باشا بقتل المسيحيين فى العاصمة وانطلق عسكره فى بولاق والأزبكية يذبحون وينهبون وقف هذا الجندى الباسل فى وجه القائد ووبخه بشجاعة قائلا : ليس من العدالة أن تهرقوا دماء رعايا الدولة العليا فان ذلك مخالف لارادة مولانا السلطان . ثم بث رجاله فى المدينة لايقاف القتل . أما الكلمة الأخيرة فنقدمها الى الأستاذ محمد قنديل البقلى الذى اشرف أخيرا على اخراج كتاب الجبرتى فى مطابع الشعب وذلك لوطنيته الصادقة ووعيه المستنير فقد استبدل كلمة « هلك » التى استعملها المؤرخ فى حديثه عن موتى النصارى بكلمة « مات » أسوة بغيرهم من عباد الله وعلق على الأوامر التى أصدرها حسن باشا ضد الاقباط سنة ١٨٧٦ م بقوله حكام أجانب أجلاف مغرورون جهلاء الخ . كما انحى باللائمة على طاهر باشا لأنه قتل المعلم ملطى حتى يتسنى له مصادرة أمواله والاستيلاء عليها .

ترقبوا الكتاب الثانى

من

سلسلة نفائس المحبة

القديس ديسقورس

✝ مكتبة ✝
دير السيدة العذراء (السريان)

محتويات الكتاب

	ص
تقديم للجمعية	٩
باركى يا نفسى	١٠
انا لا انسى أجدادى	١٦
عام مضى	٣٠
الفيروزيين الماضى والحاضر	٣٦
سنة الرب فى مصر	٤٦
دقلديانوس	٥٧
والى انصنا	٦٧
سنة الرب المقبولة	٧٤
الاضطهادات العشرة وشهداؤها(١)	٨٠
(أ) شهداء من الاساقفة(٢)	٨٧
(ب) شهداء من الأجانب(٣)	٨٥
شهداء من حارة السقايين	١٠٢